

المجلس
الأعلى
للإفتاء



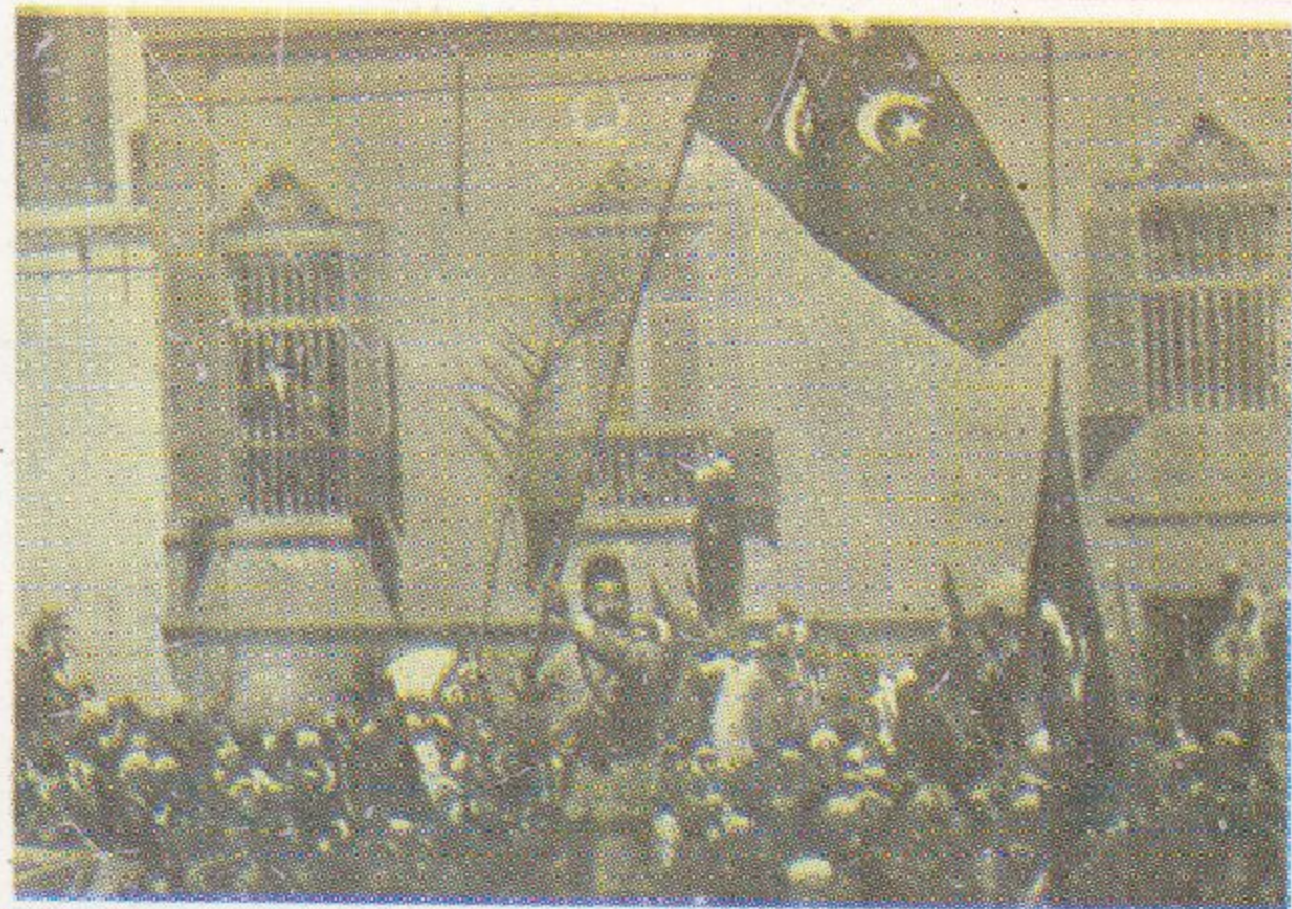
المشروع القومي للترجمة

الثورة المصرية

من خلال وثائق حقيقية وصور التقطت أثناء الثورة

تأليف : محمد صبرى السوربونى

ترجمة : مجدى عبد الحافظ
على كورخان



592

الجزء الأول

إهداء ٢٠٠٦
المجلس الأعلى للثقافة
القاهرة

الثورة المصرية

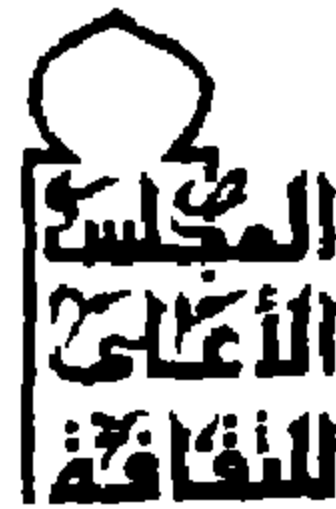
من خلال وثائق حقيقية وصور التقطت أثناء الثورة

(الجزء الأول)

تأليف : محمد صبرى السوربوني

ترجمة : مجدى عبد الحافظ

وعلى كورخان



المشروع القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد ٥٩٢
- الثورة المصرية
- من خلال وثائق حقيقية وصور التقطت أثناء الثورة
- محمد صبرى السوربونى
- مجدى عبد الحافظ
- وعلى كورخان
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة كاملة لكتاب:

La Révolution Egyptienne

تأليف: M. Sabry

الصادر عن:

Librairie J. Vrin, 6, Place de la Sorbonne

Paris Ve 1919

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة.

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo

TEL: 7352396 Fax: 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة.

المحتويات

7	تصدير المترجمين.....
11	تقديم: (دراسة بقلم مجدى عبد الحافظ).....
27	الإهداء.....
29	المقدمة: رسالة أ. أولار.....
	الثورة المصرية:
31	(إرهاصات الثورة).....
47	(قيام الثورة).....
	مظاهر التضامن الوطنى:
51	(مشاركة كل الأديان والأجناس والأعمار).....
73	(من فظائع الاحتلال الإنجليزى).....
97	(ملحق) صور التقطت أثناء الثورة.....

تصدير المترجمين

يسعدنا أن نقدم لقراء العربية — ولأول مرة — ترجمة الجزء الأول من كتاب «الثورة المصرية» لصبرى السوربونى، الذى كتبه بالفرنسية وما زالت أحداث ثورة (١٩١٩) مشتعلة لم يخمد أوارها بعد. كان صبرى ما زال يعيش فى باريس وقد أنهى دراسته للتاريخ، حيث حصل على ليسانس الآداب فى التاريخ الحديث.

وكان شغوفا بما يحدث فى مصر، يجمع ما يكتب عنها فى الصحف والمجلات وبكل اللغات. لقد درس فى السوربون منذ وقت ليس ببعيد الثورة الفرنسية على يد أستاذه العلامة أولار Aulard. كانت أحداث هذه الثورة وتفاصيلها ما زالت عالقة فى ذهنه الشاب. حاول أن يربط بين ما يستقيه من أخبار عن مصر وما احتفظ به من دروس الثورة الفرنسية، وما أكثر ما تشابه فى ذهنه الغض، فقد أراد بحسه الوطنى أن يؤوّل ويقرب بين الحدثين الكبيرين، إذ عاين أثناء وجوده فى الغرب أن مصر دولة عريقة لها ماضٍ وحضارة ينحنى لها الجميع، وجد هذا الاهتمام لدى الفرنسيين الذين ولعوا بهذه الحضارة فأخذوا يقلدون بعض تيماتها على مبانيهم، ويزينون بها ديكوراتهم. كانت فرنسا فى تلك الآونة تهيم ولعا بمصر بحيث أصبح هذا الولع Egyptomania موضة هذا الزمان. فلم لا تكون أحداث مصر آنذاك امتداداً لتلك الصحوّة التى كانت؟

كان عقل السوربونى الشاب يزدهم بهذه الأفكار، إلا أن ما دفعه وحفزّه إلى البدء فى تحرير كتابه هذا هو ما دار بينه وبين قائد الثورة سعد زغلول الذى حضر لباريس فى الحادى عشر من أبريل سنة (١٩١٩) على رأس الوفد المصرى لعرض القضية المصرية على مؤتمر الصلح، حيث اقترب كثيرا من الوفد، بل وعمل سكرتيرا له، ويقول السوربونى نفسه عن

ذلك: «لقد قلت لسعد زغلول سنة (١٩١٩) وأنا سكرتير صغير له: إذا كنت تريد للثورة أن تستمر فلابد، قبل السلاح أو الحماسة، أن تكتب تاريخ مصر. وفهمها سعد ولم يسخر ولكنه قال لى: ما تكتبه يافالح حاكته أنا».

الجمهورية. ١٩٦٤/٩/٢٠

نقلا عن أحمد حسين الطماوى، صبرى السوربونى،

«أعلام العرب»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ٥٥

ويرى الطماوى أن الكلمات السابقة لزعيم الأمة كانت لدى السوربونى هى الحافز الدافع على كتابة تاريخ بلاده، بل ويعزو إليها تأليفه لكتابنا هذا. وهو يكشف عن الأهمية القصوى لهذا الكتاب عندما يُرجع إليه الفضل فى كشف حقيقة الوضع فى مصر، وتفاصيل الأحداث إلى الأوربيين مستخدما لأول مرة تعبير الثورة لوصف ما جرى على عكس ما كان يقدم فى الصحافة الأوربية أو الصحف المصرية العميلة. كما يرى أيضا فى نشره لصور الفظائع التى اقترفها الإنجليز بحق الوطنيين المصريين، ومظاهر الكفاح والوحدة الوطنية لمختلف الطوائف، رجال الدين والشهداء تأكيدا لأقواله وفضحا لمزاعم الإنجليز. وهو فى الوقت نفسه يبرز دور الشعب فى اندلاع الثورة، أكثر من هذا يسوق لنا الطماوى حدثا يدل على أهمية هذا الكتاب فى أوربا عن الإضراب الكبير للصحف فى فرنسا سنة (١٩١٩)، وظهور صحف اليمين فى جريدة واحدة، وصحف اليسار فى جريدة أخرى: يكتب الجنرال فيرو عن كتاب صبرى هذا فى افتتاحية الجريدة التى جمعت صحف اليسار، وهو ما يعطى إشارة إلى أهمية الكتاب، واستقبال الأوساط الفرنسية له.

إلا أننا نجزم أن الطماوى نفسه لم يطلع على كتاب صبرى عن الثورة، حيث يخبرنا بأن الكتاب قد صدر فى مصر ثلاث مرات: «لأنه قال فيه عن الملك فؤاد أنه ملك لا شعبية له». والكتاب، كما سيرى القارئ، يخلو

من هذا على الإطلاق، وإذا كان بالفعل قد صودر فربما لأنه وصف الفظائع التي ارتكبتها الإنجليز في مصر، وكانوا مازالوا مركز القرار في البلاد ويسوؤهم أن يتناقل هذا عنهم، وربما سمع الباحث بالزعم السابق، فساقه دون أن يتأكد منه، ورغم أن غلاف الكتاب كان قد نُشر في الكتاب سالف الذكر سنة (١٩٨٦)، إلا أن أحدا من المتخصصين في التاريخ الحديث لم يكن قد اطلع عليه أو عرف به، ولعل هذا يعود إلى أن الكتاب لم يكن متاحًا في أية مكتبة بالقاهرة أو غيرها، وتشاء الصدفة أن تعثر على الكتاب د. كارولين كورخان رئيسة قسم التراث الثقافي بجامعة سنجور الفرنكفونية بالإسكندرية في إحدى المكتبات بجزيرة كورسيكا، وباعتبارها مولعة بجمع كل ما كتب عن مصر في القرن التاسع عشر بالفرنسية، عرفت أهمية الكتاب واقتنته على الفور، ولم تمنع عندما طلبنا منها الحصول على صورة منه لنقوم بترجمته، بل رحبت بذلك كل الترحيب، فإليها كل الشكر والتقدير.

وتكمن أهمية الكتاب إضافة إلى الصور الفوتوغرافية، في هذا الحشد الهائل من المعلومات واليوميات الخاصة بأحداث ثورة (١٩١٩)، وهذا الحس الوطني العالى الذى صيغ به الكتاب، إضافة إلى إبرازه لأول مرة في الغرب أن الشعب المصرى بطوائفه العرقية والدينية والمهنية قد اختار الاستقلال سبيلا ليعيش أمة ناهضة مثل كل الأمم الحية في العالم، وأنه يملك كل المقومات التى تؤهله للوصول لهذا الهدف النبيل، والملاحظ على لغة الكتاب (الفرنسية) أنها تميزت بالغنى والثراء الشديدين، ومع هذا فقد كان ينتقل كثيرا من لغة أدبية رفيعة إلى لغة عامية دارجة حسب طبيعة الموضوعات التى كان بصدد معالجتها، ولعل الانتقال في مصادره من أسلوب ومنهج المؤرخ الرصين إلى أسلوب ومنهج الجرائد السيارة التى تدرجت مستويات اللغة فيها، تبعا لطبيعة لغتها الأصلية وجنسياتها (عربية وإنجليزية وفرنسية)، مما حمله على القيام غالبا بترجمتها إلى الفرنسية (لغة كتابة)، ساعد هذا في تعدد مستويات أسلوب لغة الكتاب. ولقد لجأنا كثيرا إلى قاموس اللغة الفرنسية في

القرن التاسع عشر، واستفدنا بقدر كبير فى اللجوء إلى بعض كبار السن للاستفسار عن بعض التفاصيل التى أتاحت لنا فهم كثير مما غمض علينا من بعض التسميات والمعايير المستخدمة آنذاك، كما حاولنا الحفاظ على أن نكتب الأسماء كما تتطق، وللتسهيل على الباحثين حافظنا أيضا، إضافة إلى ذلك، على كتابة أسماء الأعلام بالحروف اللاتينية.

ولا ننسى التوجه بشكرنا وتقديرنا إلى شاعرتنا الصديق د. حسن طلب الذى أعاد صياغة ترجمتنا للرباعيات التى تغنى بها الشعب المصرى أثناء الثورة، وقد بحثنا عن أصلها العربى فى كل مكان ولدى المهتمين والمتخصصين دون جدوى، وما كان إلا أن تطوع د. حسن طلب مشكورا بهذا العمل. كما لا يفوتنا أن نسجل التقدير والشكر والنصائح والملاحظات والمراجعات المهمة التى قام بها صديقنا العزيز أ.د. حسين عبد القادر على النص المترجم، كما نتقدم بخالص الشكر للزميل الدكتور يحيى محمد محمود لمراجعته التاريخية للنص.

ونأمل أن يجد القارئ فى عملنا هذا إضافة حقيقية إلى المكتبة التاريخية العربية لما كان ينبغى أن يترجم من نصوص مهمة ولا غنى عنها عن تاريخنا الوطنى، ما زالت مجهولة لنا حتى الآن. وننوه بأن المترجمين قد حصلوا بالفعل على الجزء الثانى من كتاب صبرى هذا «الثورة المصرية» ونشكر فى هذا جهد كل من د. عماد أبو غازى، ود. أحمد ذكرى الشلق اللذين لفتا انتباهنا إلى وجود الجزء الثانى من الكتاب بمكتبة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ولم نكن نعلم من الأصل وجود جزء ثان له. وسنقوم بالبدء فورا فى ترجمته ليكون بين يدى القارئ فى القريب.

تقديم

دراسة بقلم مجدى عبد الحافظ

لم يكن كتاب «الثورة المصرية» الذى كتبه صبرى السوربونى سنة (١٩١٩) مقدرا له أن يتوجه إلى القارئ المصرى، لذا ربما يجد هذا القارئ بعض الصعوبات من جراء ذلك. حيث حرص السوربونى أن يقدم مادة كتابه للقارئ الفرنسى بطريقة يتفهمها، بل ودفعته إلى التعاطف مع قضيته الوطنية. فى تصورى لم يكن هذا الكتاب كتابا يعرض لموضوع تاريخى بصورة كلاسيكية منهجية، فالموضوع بدا للسوربونى أخطر من هذا. إذ كان يود أن يسمع رأى العام فى أوروبا ما يحدث فى بلاده بصورة حقيقية، ودون تزيف مما دأبت أجهزة الإعلام البريطانية على ترويجه آنذاك بأوربا، من أن ما يحدث فى مصر مجرد اضطرابات يقوم بها بعض دعاة الفتنة من العاطلين والمهيجين. لم تكن الساعة بالنسبة له هى ساعة التاريخ الأكاديمى الذى تابع لتوه دروسه فى السوربون، كما أن الليسانس الذى حصل عليه فى العام نفسه لم يكن يتيح له أن يمسك بكل قواعد المنهج التى سيطر عليها فيما بعد فى أثناء إعداد رسالته للدكتوراه، ومن هنا فما جاء بمقدمة أستاذه أولار من أن السوربونى لم ينسَ دروس التاريخ التى تلقاها بالسوربون عندما بحث عن «وثائقه بعناية ولم يؤكد شيئا إلا بقرينة» ليست إلا نوعا من المجاملة من أستاذه لتلميذه، ولعل عبارة المجاملة السابقة هى الوحيدة التى تحدث فيها أستاذه عن هذا الموضوع فى مقدمته.

كتاب الثورة المصرية إذن لم يكن كتابا مدرسيا، ولكنه كان كتابا يحمل رسالة وطنية حاول صاحبه القيام بها فى وقت حرج، وهو الوقت الذى اندلعت فيه الثورة ولم يخمد أوارها بعد. ومن ثم تصبح المهمة الأساسية التى يمكن أن يضطلع بها ليؤثر على رأى العام فى أوروبا بشكل عام، والرأى

العام الفرنسي بشكل خاص، هو أن يبذل جهدا في تقريب ما يحدث في مصر مع قيم الثورة الفرنسية، وقيم الثقافة الفرنسية بشكل عام حتى يكسب التعاطف لقضية بلاده، ومن هنا لم يكن حرصه على أن يكتب أستاذه أولار (أستاذ الثورة الفرنسية بالسوربون) مقدمة كتابه دون معنى، ولكنه اختار أولار بالذات لأنه الوحيد الذى يمكن أن يضيف على كتابه مشروعية علمية وسياسية بحكم تخصصه، فالفرنسيون - كما هو معروف - يثقون بالمتخصصين ويحترمونهم، ونجاحه في مهمته ارتبط بهذا التقديم الذى كان يحرص عليه، ونفهم هذا من مذكراته عندما يعلق على زيارته لأولار عندما ذهب ليعطيه الجزء الثانى من كتاب الثورة المصرية منسوخا، ووعده أولار بأن يكتب كلمة فيعلق السوربونى «اللهم استمع إنك سميع الدعاء» وهو ما يبين حرصه على المشروعية التى ستمنحها له كلمة أولار فى مقدمة كتابه.

وهذه المشروعية الخارجية تجاه الفرنسيين والتى سيمنحها له أولار بكلمته، حرص على أن يوازنها فيما بعد لدى أبناء جلدته بمشروعية داخلية أخرى يمنحها له زعيم الأمة سعد زغلول، وهو ما كان يحلو له ترديده. عندما طلب من سعد كتابة تاريخ مصر، ورد سعد عليه بأن «ما تكتبه يا فالج حاكته أنا». وهو ما يعطى انطباعا بأنه قد فُوض من قبل زعيم الأمة فى كتابة هذا التاريخ الذى قدمه من جزأين، لأنه فى حقيقة الأمر عبارة سعد زغلول لا تعنى هنا شيئا كبيرا يمكن أن نستنتج منه ما استنتجه السوربونى، ولكن تأويل السوربونى لها هو الذى أعطاها ما فهمه منها.

إلا أن هذا يجعلنا نفهم الآلية التى يفكر ويعمل بها السوربونى، وهى الحصول على مصداقية ما يعمل من خلالها، وعندما قرر التوجه لمخاطبة الجمهور الفرنسي لكسب تعاطفه لقضية بلاده لم يحد عن أفكاره.

والسوربونى نفسه لم يكن غريبا عن المجتمع الفرنسي الذى عاش فيه، وتربطه به صلات كبيرة، وهو ما عرفناه من خلال ما كتبه محمد كامل سليم

فى مذكراته عن سعد زغلول وجاء عرضاً ذكر صبرى السوربونى عندما قال الكاتب لسعد باشا «إننا فى حاجة إلى آخرين مثل الدكتور صبرى السوربونى أمين المحفوظات، فهو شاب مثقف مهذب وخبير فى الحياة الفرنسية وله علاقات بالصحافة الفرنسية فقال سعد: أجل هذا الشاب مثقف مهذب أحب الاحتفاظ به...».

هذه المعرفة بالحياة الفرنسية وثقافتها هى ما دفعت السوربونى إلى أن يكون حريصاً كل الحرص على ألا تذهب رسالته التى حملها كتابه سدى؛ لذا حاول بقدر المستطاع أن يجعل من الثورة المصرية للقارئ الفرنسى ثورة ذات نسب وصلة، ولا يشعر بأنها غريبة عن ثقافته وتاريخه، أكثر من هذا فهى وريثة ذلك التراث الثورى الفرنسى الممتد عبر التاريخ. ولعله نجح فى هذا بشهادة أستاذه أولار الذى لم يهتم كثيراً بتلك الناحية المنهجية من الكتاب — كما رأينا — إلا أن ما شذ انتباهه وحرص عليه ودلل على نجاح مهمة صبرى حقاً، ما جاء برسالته — المقدمة — من التأكيد على مدى تعلق الطلاب المصريين بالتثوير، والحضارة الفرنسية، واستلهم الشعب المصرى «مبادئ ثورتنا التى تتميز بالعقل عن الثورات الأخرى بأنها لم تتجز لنا فحسب، ولكنها أنجزت لجميع البشر».

ولعل براعة صبرى هى التى دفعت أستاذه إلى أكثر من ذلك عندما أكد على أن «عصبة الأمم ليست سلبية الفكر الأمريكى فحسب، ولكنها أيضاً سلبية الفكر الفرنسى». لقد استطاع السوربونى بطريقة تقديمه لقضية بلاده أن يحرك فى القارئ الفرنسى مشاعره الوطنية، ومن ثم يكسب تعاطفه تجاه كل مشاعر وطنية حقيقية أخرى، ومنها مشاعر الوطنية فى الثورة المصرية. وتتوج خلاصة رسالة أولار هذا النجاح الذى قصده السوربونى من كتابه عندما وجد أن «الرأى العام وليس فقط الفرنسى، بل الرأى العام العالمى سينضم رويداً رويداً إلى قضيتكم، والصفحات الجميلة التى كتبتموها ستسرع هذا الانضمام على المستوى العالمى، وأتوقع تزايد التعاطف معكم...» وهل

كان السوربونى يطمح فى أكثر من هذا؟ إن تلك الكلمات فى حد ذاتها تؤكد على أن ما أراد تحقيقه فى سبيله للتحقق.

لكن السؤال المشروع: كيف استطاع صبرى السوربونى أن يصل بالكتاب إلى تحقيق الهدف الذى سعى إليه؟ بمعنى آخر ما هى الآلية التى لجأ إليها فى عرض موضوعه، حتى استطاعت أن تلقى كل هذا القبول والتعاطف؟

وللإجابة على السؤال المطروح ينبغي دراسة الآليات التى لجأ إليها كاتبنا، وساعدته فى الوصول إلى مقصده بكل هذه البراعة التى عايناها.

أولاً: اللجوء إلى عيون الأدب الفرنسى:

حاول السوربونى أن تكون عباراته فى متناول المثقف الفرنسى، وفى نفس الوقت ليست عسيرة على رجل الشارع، فهو يريد أن يكسب الجميع لقضيته الوطنية، من هنا كان أسلوبه الذى تراوح بين العبارة الأدبية الرصينة وبين العبارة البسيطة، بل وأحياناً الدارجة. ولكى يكون مقنعاً كان يلجأ من حين لآخر إلى عيون الأدب الفرنسى لينهل منه بعض العبارات أو الأفكار الملهمة ذات التأثير الإيجابى على فكر وذوق القارئ الفرنسى. ولقد وجدنا كيف استخدم عبارة فكتور هوغو (١٨٠٢ - ١٨٨٥)، الذى اعتبر منذ سنة (١٨٢٧) المنظر الأساسى للمدرسة الرومانسية، وهو أشهر الكتاب الفرنسيين فى عصره فى الشعر والأدب والمقالة. وعلى المستوى السياسى كان نصيراً للنزعة الإنسانية والديمقراطية الليبرالية. مازال مواطنوه يحفظون عنه عباراته وأفكاره من قبيل «لا ينبغي على الغنى اليوم أن يبحث فحسب عن الجميل، لكن أيضاً عن الخير» أو «إن الشاعر هو على الأخص المرشد الذى بإمكانه أن يجلب للإنسان الحقيقة، لأن الكلمة هى الفعل والفعل هو الله» و«إن الكلمة هى ذلك السر الذى يأتى من النفس» وغيرها من عبارات مازالت مطبوعة لدى الجمهور الفرنسى، لذا لجأ السوربونى إلى قصيدة

هوجو «الشرقيات» ليقتبس منها تلك الصورة التي تركت أثرا كبيرا فى نفوس الفرنسيين عندما كتب هوجو عن آثار الدمار والخراب التى خلفها الأتراك أثناء حرب الاستقلال اليونانية، التى كان يؤيدها الفرنسيون، حاول السوربونى أن يذكر الفرنسيين بتلك الصورة الحزينة التى حفظتها ذاكرتهم الجماعية، بل ويستدعيها عندما يماثل بين حرب الاستقلال المشروعة لليونانيين وحرب الاستقلال بذات المشروعية التى يخوضها أبناء وطنه فى مصر، وإذا كانت حرب الاستقلال فى اليونان قد قمعت بوحشية من قبل الأتراك، مما أحزن الفرنسيين آنذاك، فالمصريون الذين يطالبون باستقلالهم اليوم يقمعون بنفس الوحشية القديمة، وكأن الإنجليز اليوم قد ورثوا الأمس، وهو ما جعله يستخدم جملة هوجو الشهيرة، ويضع بدلا من الأتراك الإنجليز حينما قال: «لقد أغرق الإنجليز البلاد كلها فى النار والدم، بذروا الحداد والخراب فى كل مكان، حرقوا قرانا، ودمروا ريفنا. بعد الأتراك، مرّ الإنجليز من هنا...».

ولم يقف السوربونى عند حد استعارة العبارات الأدبية الشهيرة من عيون الأدب الفرنسى، بل لجأ أيضا إلى الأفكار الشهيرة التى حفل بها تاريخ الفكر الفرنسى، فلجأ أيضا إلى لامارتين (ألفونس لامارتين ١٧٩٠ - ١٨٦٩) ذلك الكاتب الشهير الذى عمل بالكتابة والسياسة، ومازال يذكر الفرنسيون كتاباته التى تأثروا بها جميعا «سيكون الشعر هو الصدى العميق، والحقيقى، المخلص لأعلى مفاهيم الذكاء، ولأكثر انطباعات النفس سرية، إنه الإنسان المخلص بكامله». لقد عرف عن أعمال لامارتين أنها عظيمة عندما ترتبط بالإيقاعات المرنة والهارمونية المعبرة لكى تعبر عن أكثر المشاعر الإنسانية حميمية، أكثرها تنوعا، والتى لا يمكن الإمساك بها. يصبح لجوء السوربونى هنا للامارتين ذا جدوى وتأثير، فيما أراد أن يؤكد من رسالة فى كتابه. فيحيل السوربونى عظمة الثورة الفرنسية إلى أنها استطاعت أن تحقق ما كان يبحث عنه لامارتين عندما عالج فى كتاباته ثورات التاريخ الكبرى.

استطاعت تحقيق ما أسماه لامارتين في أعماله «الشيء الإلهي»، وهو الذى ظهر فى تلك الخلطة التى جمعت فى الشعب المصرى بين الذكاء والتدين. وهى فضائل إذن ظلت كامنة تنتظر الفرصة لى تعبر عن نفسها، وهى الفرصة تسنح فى تلك الثورة المصرية، التى أثبتت مشروعيتها بأفكار مفكر عظيم يعرفه الفرنسيون ويقدرونه. أكثر من ذلك فإنها حققت نبوءة أخرى تنبأ بها هذا العبقري المعروف وهى أن: «عصر الجماهير يقترب». فالثورة ضد الإنجليز جمعت بين أفراد الشعب المصرى من كل طبقاته وأديانه، وجعلت الأفكار السياسية فى متناول يده، إنه الوعي بالذات الذى تحدث عنه من قبل لامارتين، وجعله شرطاً لتحقيق توقعه من اقتراب عصر الجماهير. وهل هناك فرصة أعظم من تلك يمكن أن ينتهزها السوربونى لى يؤكد ويعطى المشروعية لطموحات جماهير شعبه التائر فى مصر؟

ثانياً: تقريب الصورة من خلال المكان والأحداث:

حاول السوربونى دائماً أن يقوم بتقريب الصورة للقارئ الفرنسى من خلال ربط ما يحدث بمصر ببعض الأماكن بفرنسا ذات الإحياءات النوستالجية لهذا القارئ، والتى تشكل فى ذهنه مخزوناً مليئاً بأحداث تمثل له أروع صفحات تاريخه، ومن هنا يمكن التأثير عليه، واستجداء عطفه تجاه ثورة المصريين. ويبدأ هذا التقريب بشكل مباشر ومحدد، كما أوضح، حين أعلنت إنجلترا الحماية على مصر من طرف واحد، وهو ما يمثل احتلالاً غير شرعى. أخذت تنفى الوطنيين بالمئات إلى مالطا أو تزج بهم «فى سجن طرة الكائن بجوار القاهرة وهو شبيه بالباستيل». وهى مماثلة شديدة القوة هنا للفرنسيين الذين يعرفون سجن الباستيل تلك القلعة العسكرية التى شيدت فى باريس تحت حكم شارل الخامس (١٣٧٠)، وحولها ريشيليه إلى سجن للدولة. ولم يكن هذا السجن سجناً عادياً، إذ سجن فيه قادة الرأى والفكر وأشهر من لعبوا أدواراً مهمة فى حياة الشعب الفرنسى من أمثال: جاك دراميتاك، وبرنار باليسى، وباسوم بيير، وفوكيه، وفولتير، ولالى توندال،

وساد غيرهم من المشاهير، ولعل شهرته تلك ودوره الكبير فى القمع والتعذيب، جعله هدفاً أساسياً فى حد ذاته عند قيام الثورة الفرنسية، حيث لم يتم هدم قلاعه وإسقاطه سوى عام (١٧٩٠) أى بعد شهور من اندلاع الثورة الفرنسية. ومن هنا يؤرخ للثورة الفرنسية بسقوط سجن الباستيل، أى سقوط أقصى ما كان يمثل رمزاً للقمع والكتب الممارس على الشعب الفرنسى. من أجل هذا كله حاول السوربونى أن يحرك تلك الذكريات بمرارتها، وحلاوة انتصاراتها ليرى القارئ الفرنسى ما حدث فى مصر وكأن التاريخ يعيد نفسه، وأن ثورة الشعب المصرى تستحق التأييد والمساندة لأنها ثورة فى وجه الطغيان والظلم الذى عرفه الشعب الفرنسى قبل ثورة سنة (١٨٨٩).

كما يأتى التقريب أيضاً بسرد بعض صور الأحداث فى مصر نقلاً عما جاء بالجرائد الأجنبية ليعطى لها مشروعية، ولكى يؤكد للفرنسيين أن مصر ليست كما عهدتموها أيام الحملة الفرنسية، وأنها تغيرت كثيراً عما جاء بكتاب «وصف مصر»، بخاصة حينما يقدم لهم مالم يكن متخيلاً عن مصر منذ سنوات قليلة من هذه الأحداث نفسها، وهو ما يتصل بوضع المرأة المصرية عندما تظهر «نساء المجتمع المصرى الراقى فى شرفات ونوافذ (وهن يلقين) بالورود على المتظاهرين» وتكرر هذا المشهد أكثر من ذلك فكن يهتفن بنفس الهتافات الوطنية، حينما ينقل صبرى هذا المشهد يقول: «إننا عندما نقرأ عن هذه الأمور، نشعر حقاً أننا فى باريس أو فى روما فى يوم احتفال وطنى». وينقل هنا صبرى عن نساء المجتمع الراقى فى مصر، وليس عن نساء المجتمع الشعبى، لأنه من المعروف أن نساء المجتمع الراقى كن الأكثر ارتباطاً «بالحرملك» والأكثر تمسكاً بالتقاليد والأعراف التى كانت تحكم مصر آنذاك، على عكس نساء المجتمع الشعبى اللاتى حظين بحرية أكبر داخل المجتمع. إن رسالة صبرى فى إبرازة للصورة السابقة تحمل مغزى عميقاً يفهمه دعاة حرية المرأة وتحررها بفرنسا. فالمرأة المصرية أصبحت تهتم وتشارك بإيجابية فى سياسة بلادها، وإن حدثت الثورة المصرية

قد عمق تحررها وأعطاه دفعة وزخماً، وإن مساندة الثورة المصرية سوف تؤدي إلى تكريس تحرر المرأة المصرية، وهو في حد ذاته هدف نبيل.

كما يأتي التقريب أيضاً في عملية مماثلة تماماً — يقوم بها صبرى — مع الثورة الفرنسية، ويحرص دائماً أن يستقى أحداثه ومماثلاته من الأجانب الذين كتبوا عن أحداث الثورة المصرية لكي لا يعتقد القارئ أنه يغالى فيما يقدم، أو أن اندفاعاته الوطنية جعلته يتوهم بعض الأحداث. لذا يلجأ هذه المرة لأحد الكتاب الفرنسيين المعروفين للقارئ الفرنسي وهو فيكتور مارجريت عندما جعل الأجانب المقيمين بالبلاد جزءاً لا يتجزأ من المصريين في ثورتهم، مؤكداً على عدم تعرضهم لأى استفزاز، ومن هنا كانت مشاركتهم مع المصريين في أحداث الثورة. وهو الشيء الذى جعل الكاتب نفسه يماثل بين اشتراك الأجانب في الثورة المصرية للمجاملة التى تعنى تعاطفاً وإعجاباً، وبين حضور الإنجليز والألمان والنمساويين والإيطاليين الجلسات الأولى لوكلاء الأمة أثناء الثورة الفرنسية، خاصة فى أهم أحداث هذه الثورة ليلة ٤ أغسطس حيث تم إلغاء الامتيازات الاجتماعية، وفى عيد الاتحاد، حيث اعترف الملك لبلاده بالدستور. ويعلق صبرى على ما كتبه فيكتور مارجريت: «إن الإمبرياليين الذين يحاولون عمداً تشويه روعة ثورتنا متهمين إيانا بالتعصب وبكراهية الأجانب يمكنهم الاستمرار فى نفي ما هو بذيى». ويحاول السوربونى من عبارته الأخيرة تعليقاً على مارجريت أن يبرز حقيقة طالما حاولت الصحف البريطانية فى أوربا تشويهها، وهى أن ما يحدث فى مصر مجرد اضطرابات مدبرة من قبل قلة من المهيجين الباحثين عن وظائف، سرعان ما سوف تنتهى قريباً بعد أن يسود النظام، وهو الأمر الذى يحاول التأثير على الأوروبيين بإقناعهم أن أحداث مصر يمكن أن تؤثر على الرعايا الأجانب فيها ومصالح الدول الأوربية، وهو ما حاول صبرى هنا نفيه بجدارة عندما استعان بما قاله مارجريت نفسه من أن ما يحدث فى مصر ليس ثورة فقط، ولكنها ثورة تكاد تماثل ما حدث بفرنسا فى أيامها

العظيمة إبان ثورتها، فى كل تفاصيلها وإجراءاتها، حتى هجرة الفلاحين المصريين لحقولهم تشبه ما قام به فلاحو فرنسا لإنقاذ بلادهم أثناء الثورة الفرنسية...

ثالثاً: استدعاء رموز الثورة الفرنسية:

عمد السوربونى أيضا إلى استحضار بعض الرموز ذات الدلالة فى الثورة الفرنسية، التى تحدثنا عنها وهو ما من شأنه أن يعمق تقريب الصورة من خلال المكان والأحداث الذى تحدثنا عنها منذ قليل، ويكسر تلك الصورة الذهنية التى استطاع أن يحققها لدى القارئ الفرنسى. ومن هذه الرموز ذات الدلالة أن يشبه النشيد الذى غناه المصريون أثناء ثورتهم على موسيقى فردى لنشيد السلطان، بأنه يمكن أن نطلق على رباعيته بحق «مارسييز» شعب مضطهد. والسوربونى على علم كامل بماذا كان يعنى المارسييز للفرنسيين، وهو ذلك النشيد الوطنى الذى كتب كلماته ووضع ألحانه بيتراسبورج أحد الضباط وهو روجيه دى ليل Rouget de Lisle وكان بعنوان «نشيد حرب جيش الراين»، و كان قد غناه للمرة الأولى مجموعة الاتحاديين من أبناء مدينة مارسيليا الذين وصلوا إلى باريس أثناء اضطرابات العاشر من أغسطس سنة (١٧٩٢)، ومن هنا أطلق عليه المارسييز. وأصبح المارسييز هو النشيد الوطنى الفرنسى فى الرابع والعشرين من يوليو سنة (١٧٩٥) وحتى الإمبراطورية الأولى، ثم عاد مرة أخرى بداية من فبراير (١٨٧٩). وهو مازال حتى اليوم النشيد الوطنى الفرنسى. عرف السوربونى أن الأحداث الثورية العظمى لا بد لها من أن تتعكس فى أعمال فنية تخلدها، وتصبح لسان حال الحالة الثورية القائم؛ لذا اهتم بأن يترجم هذا النشيد الذى غنته الجماهير المصرية فى الشوارع ليقدم أمام القارئ الفرنسى حالة ثورية فريدة تذكره بنفس الحالة الثورية الفريدة التى عاشتها فرنسا إبان ثورتها، مركزاً فيه على إبراز اتحاد الأمة بطوائفها وطبقاتها وأعرافها فى وحدة وطنية رائعة، تؤكد أن مبدأ المواطنة أصبح مع الثورة المصرية أمراً واقعاً،

وهو ما لم يمكن تصويره منذ سنوات قليلة. ويستحضر السوربوني رمزا آخر أكثر أهمية، ولكي يجبر القارئ الفرنسي على تصديقه، يستقيه مرة أخرى من كتابات فكتور مرجريت الذي يقدم ترجمة لما تم على الأرض من وحدة وطنية إلى تلك الوحدة الرمزية التي جسدت التقاء عنصرى الأمة باعتبارهما مواطنين كاملى الأهلية، ولكن هذه المرة فى إطار الصياغة الجديدة لعلم المصرى بفعل تلك الأحداث التى ساهمت فى تضامن المسلمين والأقباط. فعلاوة على التداخل الذى حدث من دعوة رجال الدين الإسلامى للتصدي للاستعمار والمطالبة بالاستقلال من داخل المساجد، وتعانقهم، ظهر بشكل رمزى ما يجسد هذا، وهو ما يبرزه السوربوني على لسان مرجريت «المنظر الأكثر تأثيرا كان ظهور أعلام يحيط فيها الهلال بالصليب وكأنه يحتضنه، مع هذا الظهور كان يصيح الجمهور النائر: تحيا مصر الوطنية، عاش الوطن متحدًا. هكذا أعطت مصر المسلمة للعالم الأمثلة على التسامح والوحدة المقدسة»، وأهم من ذلك تلك المماثلة التى يسوقها «مثلما حدث سنة (١٧٨٩) بفرنسا عندما صنع العلم الفرنسى من علم باريس متصالحا مع العلم الملكى، ها هو رمز المسيحيين ورمز المسلمين يتضامنان فى علم مصر الجديد. فيحتضن الهلال الصليب رمزا وطنيا رائعا، وكم سيكون المستقبل باهرا!» هكذا فهم السوربوني أهمية الرموز، وأهمية التأكيد على أن الثورة المصرية ليست بأحداثها فقط سلبية الثورة الفرنسية، ولكنها أيضا فى أدق تفاصيل رموزها التى تمثل مرعى راقيا بالوطنية، وبصياغة وحدتها المقدسة، إنها حقا تمثل ثورة دينية وسياسية معا.

ولا يقف السوربوني عند الحدود السابقة، بل يذهب أبعد منها عندما يؤكد — وبنفسه هذه المرة — أن الثورة المصرية وطنية وليبرالية، وهل كانت الثورة الفرنسية غير ذلك؟! إنه حاول أن يطبع ثورة مصر بنفس طابع الثورة الفرنسية، مبرزاً أن «الفكرة الديمقراطية بكل أشكالها الأكثر حداثة كانت قد أخذت طريقها فى كل أرجاء مصر»، أكثر ما يظهر كيف تأكد ذلك

من خلال ما حدث فى الأقاليم المصرية من إعلان الجمهورية فى المنيا وزفتى ومدن أخرى، وكيف تم إجبار المدير (المحافظ) على أن يتخذ قراراته باسم الشعب، بل وانتخاب رئيس للجمهورية، ووضع إلى جانب كل قاضٍ محلفاً من الشعب. كانت الثورة المصرية كما رآها السوربونى تعمل على تكريس مبدأ السيادة الشعبية. وقد كانت تلك اللغة هى التى يفهمها الفرنسيون ويحترمونها لأنها فى الحقيقة تكرر مبادئ ثورتهم، ومن ثم أكد السوربونى عليها وأبرزها، إذ إنها مازالت تشكل مرجعية فى أذهان الفرنسيين، ومازالت تعبر عن الرموز الحية لثورته من أن مجرد استدعائها وإسقاطها على الثورة المصرية، يكسب هذه الأخيرة تعاطفاً وتأييداً منقطع النظير.

رابعاً: الحضور الفرنسى فى الثورة المصرية:

شكل تركيز السوربونى على الحضور الفرنسى فى خضم الأحداث فى مصر نقطة قوية فى جذب اهتمام الفرنسيين إلى موضوعه، ومن ثم الخروج بنتيجة مفادها أن فرنسا نفسها حاضرة بل ومتورطة كعنصر يلتفت إليه على أنه نصير الحقوق المصرية المشروعة، مما ينمى الإحساس لدى القارئ الفرنسى بأن ذلك الموضوع ليس منفصلاً عنه، ولكن يخصه بصورة مباشرة. ويحاول السوربونى تأكيد هذا الحضور بإبراز أكثر من مظهر يدل عليه، من هذه المظاهر أنه قد تخير ما أورده جريدة الإيلبستراسيون من أن العلم المصرى كان أكثر وضوحاً، وكانت هناك إلى جانبه أعلام أخرى يذكر الأعلام الفرنسية فى مقدمتها، وبعدها الإيطالية والأمريكية، ولنا أن نفهم مغزى أن يكون موقع الأعلام الفرنسية يأتى مباشرة بعد الأعلام المصرية وقبل الأعلام الأجنبية الأخرى. وهو الشئ نفسه الذى يقدمه للقارئ الفرنسى من خلال إحدى الصحف ليبين من خلاله أن مصر بكل فئاتها وطبقاتها حينما تهتف بحياة الأجانب من غير البريطانيين ففرنسا فى مقدمتهم، وذلك عندما يصور كيف أن المظاهرة التى شملت رجال القضاء، والمحامين والموظفين من شتى إدارات الدولة، والأطباء والتجار، والملوك والعمال فى القاهرة

هتفت على فترات متقطعة باسم فرنسا، ويذكرها في المقدمة قبل أمريكا وإيطاليا، وهو الشيء نفسه الذي تكرر في الإسكندرية أيضا من أعضاء المجلس البلدى ورجال القضاء وموظفيه، وموظفى الإدارات الحكومية، وكل طبقات السكان المحليين الذين هتفوا بحرارة على طول الطريق بحياة فرنسا، ويذكرها أيضا قبل أن يذكر إيطاليا والولايات المتحدة. وهى إشارة — كما قلنا — تجعل القارئ الفرنسى يوضع أمام مسؤولياته المترتبة على هذه الثقة التى أولاها لبلاده أبناء الشعب المصرى فى ثورتهم.

خامسا: التسامح الدينى:

إن فكرة التسامح الدينى وإبرازه عبر صفحات الكتاب كانت فكرة محورية اهتم بها السوربونى كثيرا، لمعرفته لما تشكله هذه الفكرة فى الثقافة الفرنسية وفى العقلية الفرنسية عموما. خاصة وقد حاول طول الوقت أن ينفى التعصب عن هذه الثورة المصرية، سواء ضد الأجانب من جميع الجنسيات، أو ضد الديانات الأخرى، وعلى الأخص المسيحية واليهودية، حيث تأخى جميع المصريين من جميع الأديان حول الفكرة الوطنية التى نبذت التعصب، وأعلت من شأن التسامح، وهو سر نجاح الثورة. وعلىنا ملاحظة ما ساقه كاتبنا من مواكب مشتركة، ومظاهرات مشتركة راح على أثرها ضحايا من كل الأديان، بحيث يمكن القول بأن الدماء المصرية اختلطت بتراب الوطن الواحد الذى رفع شعار «الدين لله والوطن للجميع». قد كان الجمهور يصفق فى كل مرة عندما كان يركب قس مسيحى وحاخام يهودى وأحد العلماء المسلمين جنبا إلى جنب فى السيارة نفسها. وكان السوربونى يحرص أن يضع خطوطا تحت عبارات مثل العبارة السابقة.

وعندما كان يتحدث السوربونى فى كل مرة عن الهلال والصليب، كان يقوم بتقديم الصليب قبل الهلال، وأعتقد أنه كان يقصد ذلك، ليؤكد على أن الأغلبية فى مصر من المسلمين عقدت العزم على احترام الأقباط واحترام ما يشكل رمزا لهم، وبالتالي يؤثر فى نفس هذا القارئ الفرنسى المسيحى

الكاثوليكي، وذلك بإبراز أن المسيحيين بمصر مواطنون كاملو الأهلية، بل وتحترم مقدساتهم إلى الدرجة التي تصبح فيها شعارات هذه المقدسات، رمزاً وطنياً للجميع.

ولنا أن نلاحظ أن المرة الوحيدة التي وُضع فيها الهلال قبل الصليب كانت عندما أراد الحديث عن الماضي الذي تنافر فيه الهلال مع الصليب على مدى ألف عام. ورأينا أيضاً كيف سخر مما أوردته الجرائد من أن الثوار يريدون تأسيس إمبراطورية إسلامية على رأسها خليفة في القاهرة، ولم يعبأ بالرد حتى على هذه الفكرة أو رفضها واصفاً لها بأنها فكرة خيالية.

سادساً: حماية المصالح الأجنبية والفرنسية:

حاول السوربونى بشتى الطرق أن يبرز النظام والبعد عن الفوضى عن الثورة المصرية، وبالتالي فالثورة ورجالها أنفسهم يعملون على حماية المصالح الأجنبية بالبلاد، وخاصة الفرنسية منها. ولعل إبراز السوربونى لمشاركة الجاليات الأجنبية في أحداث الثورة دليلاً رائعاً منه على أن هذه الثورة لم تكن موجهة ضد الأجانب الذين سكنوا البلاد وتأخوا مع أهلها، ولذلك فلم يكن مستغرباً أن يلقي القبض على أجانب من كل الجنسيات خرجوا مع المصريين في مظاهراتهم وتصدوا معهم للقمع الإنجليزي، أكثر من ذلك فقد وجه الضباط الإيطاليون بالقاهرة مذكرة إلى المارشال اللنبى ضد الأعمال الوحشية التي شاهدها وطلبوا التحقيق فيه، الشيء الذي أوقفه اللنبى. أكثر من ذلك يبين السوربونى كيف أن الثوريين قد قاموا بتنظيم شرطة بلدية مكونة من متطوعين، وكيف أخذ خطباء الثورة الكلمة ليطالبوا بالهدوء ويلحوا على عدم إثارة قلق الأوربيين معلنين «مَنْ سيصير أقل حداثة سوف لا يعتبرونه مصرياً صالحاً». ويبين كاتبنا أنه بهذا العمل المسئول تمت حماية معامل السكر الفرنسية بالحوامدية، والمصالح الأجنبية الأخرى من كل أذى.

سابعاً: إبراز تأثير المصريين في ثورتهم بفرنسا:

وكان من أهم الأهداف التي حاول السوربونى أن يصل إليها هو أن يصل القارئ الفرنسى لنتيجة مفادها أن المصريين ما كانوا ليثوروا على الاحتلال والقمع، ويطالبوا باستقلالهم من خلال ثورتهم إلا نتيجة تأثيرهم بالأفكار الفرنسية، وحاول السوربونى من خلال كتابه أن يبرز هذا التأثير الفرنسى المباشر على الثورة المصرية، حتى على هؤلاء الفلاحين الذين تم تجنيدهم إجبارياً فى فيلق العمل، وتم ترحيلهم لفرنسا للخدمة هناك. وفى فرنسا تدمر الفلاحون المصريون، وأحدثوا توتراً كبيراً، وذلك لتعرضهم لمظالم عديدة، إضافة إلى قسوة الظروف التي تعرضوا لها، ومن ثم تم إعدام عدد كبير منهم رمياً بالرصاص، والسوربونى لا يهتم كثيراً بمسألة إعدامهم بقدر ما يهتم بإبراز أن هؤلاء الفلاحين أعطوا الشعب المصرى وهو الشعب النابه وسريع التأثير سبباً فى أن يثور ضد الحكومة الأجنبية البريطانية. أى أن الفلاحين المصريين قد تأثروا من جراء وجودهم أثناء تجنيدهم بفرنسا. أكثر من ذلك، فالسوربونى لا يود أن تحسب ثورة الشعب المصرى على مجابهة الظلم فقط، ولكن يود أن يفهم القارئ الفرنسى أن هناك مثلاً أعنى فى «الاستقلال والحرية» لدى الشعب المصرى التأثير، بل وأن هذا المثل هو الذى أثار حميته وأعاد إليه طاقته الأولى، ويجد أن أفكار الرئيس ويلسون ما كان لها أن تجد مربوداً فى مصر سوى أن مصر ذات الحضارة الشرقية — الغربية كانت أرضاً مشجعة. وتحيل طبيعة هذه الأفكار إلى أفكار الفلاسفة عشية الثورة الفرنسية باعتبارها ركيزة العمل الثورى. الأرض المصرية إذن كما يراها السوربونى ويقدمها لقارئيه من الفرنسيين قد خصبت سلفاً من قبل العبقريّة الفرنسيّة «منذ حملة نابليون، وبفضل العلماء الفرنسيين ثم فى ظل محمد على وسعيد وإسماعيل، وبفضل معاونيهم الفرنسيين والمصريين فإن أفكار الثورة أفكار الحرية والمساواة تلك لم تتوقف عن الانتشار، لقد أحييت هذه الأرض التي بدت، بالأمس، ميتة. هكذا حاول السوربونى بكل جهوده أن

يوضح للفرنسيين بأن ما يحدث في مصر هو من وحي وإبداع الفرنسيين أنفسهم حتى يضع خطوطا تحت عبارته التالية: «لن نبالغ إذن عندما نقول إن الثورة المصرية هي ابنة الثورة الفرنسية». وهل هناك شيء آخر يمكن التأكيد عليه للقارئ الفرنسي أكثر من أن يعرف أن الثورة المصرية ليست إلا وليدة ثورتهم العظمى، ومن ثم ينضم للمتعاطفين والمؤيدين لها في جميع أنحاء أوروبا؟

والحقيقة أن السوربونى قد نجح في مسعاه كما رأينا من خلال رسالة أولار — المقدمة التى كتبت له، وخاصة أنه استطاع بمقدرة عالية أن يلعب لعبة الصورة التى كان لها التأثير العميق على القارئ فى أوروبا على وجه العموم والقارئ الفرنسى على وجه الخصوص، فالصور التى انتقاها بعناية عبرت أشد التعبير عن مدى صدق ما قدمه، ومدى القمع والعسف الذى يعيشه الشعب المصرى فى ظل الاحتلال البريطانى الآثم.

الإهداء

أهدى
هذا العمل المتواضع
إلى
عزيزى وأستاذى الشهير
السيد أولار
كتعبير عن تقديرى وإخلاصى

المقدمة رسالة أ. أولار

باريس في ٢٥ أكتوبر ١٩١٩
صديقي صبرى،

لقد انتهيت من قراءة نسخة كتابك باهتمام وتعاطف وتأثر، ورغم أنك كنت محاميا عن وطنك ويتألم قلبك له، فقد أمتعني منك ما رأيته من عدم نسيانك لدروس المنهج التاريخي الذي تلقيت به بالسوربون عندما كنت طالبا مجتهدا ومحبويا. لقد بحثت عن وثائقك بعناية، وما من شيء أكدته إلا بقرينة. أثر فينا سردك كما حرك مشاعرنا؛ ليس فقط لبلاغة الوطني فيه وإنما لرائحة وهواء الحقيقة.

إنني لا أعرف مصر من خلال التاريخ والكتب فحسب، ولكني تعلمت أن أحترم نبل شعبكم الذي كان أحد باعثي العقل الإنساني. لقد سافرت لهذا البلد الرائع واغتسلت روحا وجسما بأنواركم، شاهدت وجوه مواطنيكم المعبرة، وشاهدت تلك القامات الرشيقة وهذه الوجوه الحية الرقيقة التي تشبه بشكل مدهش أولئك المصريين القدماء المنحوتين على آثاركم مما يدل على نقاء جنسكم (وأي جنس آخر ظل بهذا النقاء؟)، وأخيرا شربت من ماء النيل: وقصدي من هذا كله أن مصر ليست غريبة عني كما أني أحبها.

إلا أني لا أحب مصر — فقط — كما نحب متاحفها، أو كما نحب مقابرها، بل إنها أرض الأحياء. إن نهضتكم لجديرة بالتقدير، فهي نهضة فكرية واقتصادية، وتحتاجون معها إلى الحرية لتطوروا عبقريتكم ومستقبلكم، وإنني لعلني يقين بأنكم جديرون بذلك.

لقد أظهر طلابنا المصريون بالسوربون حبا جما للحقيقة؛ فعندما كنت رئيسا للبعثة العلمية في حينها وكنت أسافر لبلدكم رأيت مدى تعلق المصريين

بالتتوير، وعلى الأخص للحضارة الفرنسية، إنكم تريدون العيش كشعب، وتستلهمون مبادئ ثورتنا التي تتميز بالفعل عن الثورات الأخرى بأنها لم تنجز لنا فحسب، ولكنها أنجزت لجميع البشر. وها أنتم تعتمدون على عصبية الأمم لتحصلوا على حق العيش لحياتكم، وعصبية الأمم ليست فقط سلبية الفكر الأمريكي ولكنها أيضا سلبية الفكر الفرنسي. إن الحق في جانبكم، كما أن الطاقة التي تبذلونها ببسالة وبمقدار دقيق، هي ما سيصنع مصيركم.

إن وجه الشعب المصري المضيء بالمستقبل ليرتفع بين عديد من الشعوب التي أيقظتها هذه الحرب (العالمية الأولى) من مرقدتها.

إن الرأي العام وليس فقط الرأي العام الفرنسي، بل الرأي العام العالمي سينضم رويدا رويدا إلى قضيتكم، والصفحات الجميلة التي كتبتموها لتوكم ستسرع هذا الانضمام على المستوى العالمي. وأتوقع تزايد التعاطف معكم، إذا ما حرصتم على الاستمرار في هذا الإصرار البطولي للعيش باعتباركم شعبا، بل إن هذا التعاطف سيجتذب حتى الشعب الإنجليزي نفسه، فالتاريخ يعلمنا أن الشعب الإنجليزي لم يقف حائلا إلى ما لا نهاية ضد العقل والعدل.

مصر! إننى لا أراها في ماضيها العريق فحسب، لكنى أراها أيضا في مستقبلها، جميلة وقوية ومفيدة للبشرية.

عزيزى صبرى، أشكرك على أنك مددتنى عبر كتابك هذا بالأمل والرؤية.

عاش شعبكم النبيل!

أ. أولار

أستاذ تاريخ الثورة الفرنسية بجامعة باريس

الثورة المصرية (إرهاصات الثورة)*

بالتأكيد إن هذه الثورة واحدة من أجمل الثورات فى التاريخ. لقد كانت عفوية إذ سببتها سياسة الخنق المنظم ضد شعب من أربعة عشر مليون نسمة منجم كله على حقه فى الاستقلال والحرية. هذه الكلمات القليلة «سياسة الخنق المنظم» تلخص وحدها كل الأسباب البعيدة والقريبة للثورة. وإذا كان من الضروري أن نضع خطأ فاصلاً بين الأسباب البعيدة والقريبة فإن سنة (١٩١٤) هى هذا الخط الفاصل؛ ذلك أنها السنة التى أعلن فيها، بشكل غير شرعى، الحماية البريطانية.

كانت هذه الثورة عظيمة. لأنها حققت هذا «الشيء الإلهى» الذى كان يبحث عنه لامارتين فى ثورات التاريخ الكبرى. من أين أتى إذن هذا الشيء الإلهى؟ يأتى هذا الشيء من كون الشعب المصرى شعباً ذكياً ومتديناً ورث من تاريخه الممتد والعريق تلك الفضائل التى ظلت كامنة فيه، وعندما هُزئ هذا الشعب أيقظت الثورة فضائله هذه.

تتلخص أحداث هذه الثورة التى لم تنته بعد (بدأت يوم ٩ مارس) فى بضع كلمات: الاستقلال التام لمصر والسودان المصرى، ومن ثم فإن هذا الاستقلال يمثل لنا الهدف الأسمى.

إلا أن هناك هدفاً ليس بسيطاً قد تم تحقيقه: يتمثل فى أن المسألة المصرية فرضت نفسها على الاهتمام العالمى، وعلى ضمائر الرجال الأحرار، وعلى مؤتمر السلام**، وبخاصة، أنه كان قد بدا أن المسألة المصرية قد نسيت منذ اتفاق سنة (١٩٠٤) بين فرنسا وإنجلترا.

* هذا العنوان من اضافتنا. (المراجعة اللغوية)

** مؤتمر الصلح الذى تم عقب الحرب العالمية الأولى. (المترجمان)

لقد كانت مصر عشية الاحتلال الإنجليزي ولاية تركية لا تتمتع فحسب بحكم ذاتي تام طبقا لوضعها السياسى الذى تحدد بموجب معاهدة لندن سنة ١٨٤٠، ولكن أيضا باستقلال ذاتي خارجي بموجب فرمانات أعلنت بعد ذلك.

إن مصر لم تتخل أبداً عن حقوقها التى صدقت عليها القوى الكبرى رسمياً، وناضل المصريون دائماً من أجل حمايتها، بل واكتساب حقوق أخرى. ولذلك قاموا بثورة (١٨٨٢). لقد اعترف اللورد كرومر نفسه بأن هذه الثورة الأولى كانت «وطنية وتحررية»؛ إلا أن هذا لم يمنع إنجلترا الحرة من أن تحتل البلاد عسكرياً بالحجة الأبدية: «إعادة النظام».

ومنذ هذا اليوم المشئوم لم يتوقف المصريون عن رفع صوتهم ضد الظلم الذى ارتكب بحقهم. ولم يكفوا عن تذكير إنجلترا بالالتزامات التى قطعتها على نفسها بالسنة رجال دولتها ومن خلال معاهدة لندن التى وقعت عليها.

وبعد الاحتلال البريطانى ببضع سنوات، تشكل حزب وطنى متأجج النشاط. وقد رأس هذا الحزب مصطفى كامل وهو سياسى عريق وخطيب مفوه حمل حملة شعواء فى مصر وأوربا ضد تصرفات ومغبات السياسة البريطانية. لقد كان يجسد الوطنية المصرية، وكنا نراه دائماً فى طليعة الرجال الذين كانوا يعملون من أجل تحرير وطنهم. فالمصريون من جميع الطبقات لا يستطيعون اليوم أن ينطقوا باسمه دون أن ينتابهم شعور عميق بالإخلاص له^(١).

لقد كانت مصر عشية الحرب (العالمية) الأولى على وشك الاستقلال؛ الذى اكتسبته عام (١٨٤٠) بدماء أبنائها، وكان من الممكن أن تحصل على استقلالها كاملاً لو لم تتدخل القوى الخارجية بتحريض من إنجلترا.

(١) أحدثت وفاته فى سنة (١٩٠٨) مظاهرة عظيمة غير فيها عن الشعور الوطنى. وكان محمد فريد خير خلف لمصطفى كامل إذ وهب حياته كاملة فى خدمة بلاده، وهو منفى منذ سنوات عديدة فى الخارج.

عندما اندلعت حرب (١٩١٤) ظن المصريون أن الفرصة قد سنحت لهم بقطع الصلة الضعيفة التي كانت تربطهم بتركيا، وتحقيق حقهم في الاستقلال الكامل، فقد سارع بعض رجال الدولة المصريين بمطالبة ممثلي إنجلترا باحترام تعهداتها وتحقيق الأمنيات المشروعة لمصر مقابل مساعدة مصر لإنجلترا في حربها ضد أعداء الحق في آسيا وأوروبا. إلا أن هذا العرض قد رُفض، وأكثر من ذلك فقد أعلنت الحماية على مصر يوم ١٨ ديسمبر (١٩١٤) بإعلان انتهى بعبارة «جود سيف ذي كينج» God Save the King (حفظ الله الملك!). إن هذا العمل غير المشروع والذي ارتكب بحجة الحرب قد جرح كرامة الشعب المصري وأثار سخطه. وأقل ما يمكن قوله في هذا السبيل أن هذا العمل لم يكن ملائما لكي يُهدئ من غضب شعب أبى. لقد أرادت إنجلترا بهذا الإعلان من طرف واحد أن تعمل على خلق موقف لها يبدو وكأنه عمل شرعى يمكن أن يبرر تصرفاتها أو بالأحرى يبرر احتلالها المقنع. إنها نهاية مأساوية لمسرحية هزلية مُثلت على الطريقة الإنجليزية وبدأت باحتلالها غير الشرعى. وعلاوة على ذلك، فإن إنجلترا بعد أن نصبت من نفسها حامية بشكل ذاتى على مصر أصرّت على أن تُظهر للمصريين كيف ترى حمايتهم. لقد قامت إنجلترا بنفى كل الوطنيين الذين كانوا موضع الشك — وهم بالمئات — إلى مالطا، أو زُج بهم في سجن طرة الكائن بجوار القاهرة وهو شبيه بالباستيل. وهبط فجأة على البلاد طوفان من الجواسيس وكانت أقل كلمة (تقال) في حق الإنجليز يُبلغ عنها ويقاد قائلها إلى قسم الشرطة. وهكذا شجعت إنجلترا على الوشائيات والتجسس الذى أفسد العادات المدنية وأعادت مرة أخرى استخدام الجلد و«الكرباج». ومورست رقابة شرسة على الصحافة، وأُلغيت حرية التعبير والاجتماع وكل الحريات الشخصية والاجتماعية بأمر من القائد الأعلى لجيش جلالة ملك إنجلترا. وتم بيع القطن الذى يمثل المصدر الرئيسى لثروة مصر

بسعر فرضته إنجلترا التي كان لديها وحدها الحق في شرائه لترسله إلى لانكشير بثمن بخس. وصادرت السلطات العسكرية المواشى والحبوب، والتي لم يكن هناك غنى عنها للبلاد، وهو ما جعل الحياة أكثر صعوبة لكل من الفلاحين وسكان المدن. وقد قَدَّر القائد ودج وودن Wedgwood Ben في خطاب موجه إلى مجلس العموم في شهر مايو الماضي تلك الخسارة التي أحدثتها هذه القرارات التعسفية بما يزيد على عشرين مليون جنيه إسترليني.

«... هناك خطأ آخر ارتكب في تمويل الجيش البريطاني، فعلى مدى سنتين أو ثلاث سنوات كان تمويل مائة ألف رجل وعديد من حيوانات النقل يتم على نفقة مصر، وهذا ما أدى إلى أزمة اقتصادية منعت الرقابة الحديث عنها، لأن سياسة السرية والخنق وصلت إلى درجة لم يتصورها أحد في إنجلترا. لقد كانت حرية التعبير والصحافة موجودة بالكاد في مصر، ولهذا السبب فإن الحديث عن مطالب ما يسمونه بالحزب الوطني ودوافع تمرده سيكون بلا معنى».

صحيفة ماتشستر جارديان

Manchester Guardian

١٢ أبريل ١٩١٩

وقد جاء بنفس الصحيفة يوم ٢٨ مارس: «وقد تمت مصادرة الطعام وعلف الماشية بواسطة أولئك الموظفين الأكثر فسادا وبُعدا عن الإنسانية وبنفس النظام الذي يجدون فيه أنفسهم يكافأون ويكرمون مرة أخرى من قبل الحكومة. وهنا أدرك الفلاحون أن الحماية البريطانية قد أعادت إليهم مرة أخرى أسوأ أيام الخديوى إسماعيل، إضافة إلى استغلالهم بلا حياء مما أعاد إليهم أيام الترك بل وأسوأ منها».

إضافة إلى ذلك فإن العديد من المصريين أُجبروا على أداء الخدمة العسكرية في ظروف مخزية. «ورغم هذا فقد كان المصريون على استعداد

للتضحية بكل شيء من أجل الحلفاء، لو لم تكن إنجلترا قد وعدت بشكل سافر عندما أعلنت الحماية بأنها لن تلجأ إلى تجنيد المصريين، وإذا لم تكن — من جهة أخرى — قد عاملتهم بطريقة تتنافى مع مبادئ النظام والعدالة التي كانت تتباهى بها».

لقد وصف الدكتور هـ. جيست H. Guest بطريقة مؤثرة ظروف التجنيد قائلا: «حكى لى صديق ما رآه: عندما ذهب بعض من جامعى المجندين* من «فيلق العمال» (Labour Corps) ساعة الغروب إلى قرية صغيرة من قرى الدلتا، وانتظروا هناك عودة الفلاحين المتأخرين فى حقولهم، وكان العمدة فى خدمتهم. وعند وصول الفلاحين أحاطوا بهم من كل جانب وأخذوا فى الحال كل من رأوه صالحاً للخدمة. وكان بين هؤلاء صبية تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة ورجال يبلغون السبعين عاماً. وقد تم وشمهم بعد ذلك، ومن كان يتناول على معارضة هذه العملية كان عليه أن يواجه العمدة وجامعى المجندين والكرياج. وهكذا فإن من لم يتبعهم صاغراً تبعهم تحت ضربات الكرياج».

ديلى نيوز

Daily News

٢٨ مارس ١٩١٩

وإذ نمنع أنفسنا من أى تعليق على تلك الوسائل التى تنتمى للعصور الوسطى، فإننا سنذكر أيضاً شهادة السيد أ. م. فورستر E.M.Forester: «لقد كان التجنيد لفيلق العمال المصرى يحظى بشعبية بفضل المرتبات المجزية؛ ولما حدث تراجع فى عدد المتطوعين لجأت السلطات العسكرية إلى نظام التجنيد الإجبارى، وكان على كل مدير مديرية أن يأتى بحصة من الرجال. وكان هؤلاء الموظفون يخبرون عمدة كل قرية بعدد الفلاحين الذى سينبغى

* عرف هذا الموضوع عند المصريين باسم الشغل فى السلطة. وقد صور فنان الشعب سيد درويش عذاب الأهالى فى إحدى أغنياته الشهيرة. (المترجمان)

عليه تسليمهم. لقد كان نظام التجنيد هذا سرّيًا وكانت المناطق التي قاست بشكل أكبر هي تلك المناطق الواقعة في المديرية النائية، حيث لا خشية فيها من سطوة الرأي العام، وكلما ازدادت حاجة الجيش تم التوسع في التجنيد على حساب المدن التي لم يستثن منها غير القاهرة والإسكندرية. وكان من الممكن أن يصل هذا التجنيد إليهما لولا انتصاراتنا في فلسطين. حيث اتفق الجميع على أن ينسبوا الجزء الأكبر من هذا النصر للقوات المصرية المعونة».

ماتشستر جارديان

Manchester Guardian

٢٩ مارس ١٩١٩

ولنطرح الآن مسألة معاملة المتطوعين. ها هو د. جيست يقول في مقال سبق ذكره: «مجرد أن تم تجنيدهم أعطوا طعامًا سيئًا وملابس وأغطية قذرة... وكان يموت المصريون كالذباب على أثر الأمراض المعدية. وعندما سألت هذا الصديق: «لماذا يموتون؟» أجابني ببساطة: «لأننا لم نقدم لهم الغذاء والكساء».

من جانبه قال السيد فورستر Forester: «تختلف الآراء حول معاملة هؤلاء المتطوعين، إلا أن عديدًا من الجنود البريطانيين حدثوني عن هذه المعاملة الفظة دون أن أسألهم. أما فيما يتعلق بمعالجة المرضى فلم يرد بخصوص هذا الموضوع غير رأي واحد: لقد كانت معاملة مقرزة (disgraceful)؛ فأعداد المستشفيات غير كافية وسيئة التجهيز والرقابة، لقد كانت تنتشر الأمراض أكثر مما كانت تقاوم عدوى التيفوس المنتشرة آنذاك في الجيش. ويبدو أن وجهة النظر الرسمية كانت ترى أنه عندما يمرض المصريون فلا بد بشكل حتمي من أن يقضوا نحبهم، لأنهم في الحقيقة كانوا قد أعفوه من أي علاج طبي. وفي حالة أعرفها شخصيًا أرسل أحد السكان المحليين إلى إحدى هذه المستشفيات بوعكة خفيفة، وهناك أصيب بحمى

كادت أن تودى بحياته، ولا يمكن أن نندهش من أن جنودنا أنفسهم اعتبروا هذه المستشفيات كمراكز للعدوى وكانوا يخشون الاقتراب منها. وبالتأكيد نحن لا نستطيع أن نعيد للحياة مرة أخرى أولئك الذين قتلناهم دون جدوى، إلا أنه قد ينبغي علينا الاقتراب من مشاعر الأحياء لكي نفهم أسباب التوترات التي اجتاحت الريف مثلما اجتاحت القرى المصرية».

متشستر جارديان، ٢٩ مارس

وها هو شاهد آخر: «أتذكر أن رقيباً من أركان الحرب التي كنت أنتمى إليها طلب مني مرة أن أفحص ثلاث حالات من السكان المحليين، كان قد حكم بعدم لياقتهم للتجنيد. وعشية هذا الفحص جلد كل منهم بست جلادات، أحدثت جروحاً واسعة قابلة لأن تتعرض للتلوث في أية لحظة. لقد كان الثلاثة يعانون كثيراً من الألم وكان على مشاركة رأى هذا الرقيب الذي كان بعيداً عن أية عاطفة».

متشستر جارديان

Fred. F. Wynne فريد. ف وين

١٢ أبريل

وقد كتب السيد س. هوبهاوس C.Hobhouse: «لقد نتجت التوترات الحالية عن الكراهية التي يشعر بها الفلاحون بسبب تجنيدهم بمعسكرات العمل في فرنسا وفلسطين. رغم أن هذا التجنيد كان من الناحية الاسمية تطوعياً، إلا أنه في الحقيقة كان مفروضاً وإجبارياً بعد الوعد الرسمي بعدم تطبيق التجنيد نهائياً في مصر». وحدثت توترات بين الفلاحين في فرنسا حيث أعدم عدد كبير منهم رمياً بالرصاص؛ إن هذه الواقعة ووقائع أخرى تتصل بالمظالم التي ارتكبت بحق المصريين وقسوة الظروف التي تعرضوا لها قد انتقلت، بعد انتهاء الحرب، عن طريق العمال الذين عادوا إلى مصر وأسهموا في تهيئة الأذهان وذلك بفعل التجنيد. حتى ولو كان التجنيد الإجباري وإعدام العمال الثائرين ضرورياً في اللحظة التي أمروا فيها، فإنهم

أعطوا شعبًا نابهاً وسريع التأثر سببا في أن يثور ضد حكومة أجنبية «حتى وإن كانت حكومة حسنة النية».

ماتشستر جارديان

١٠ أبريل

إننا مجبرون على القول هنا بأن الحكومة الإنجليزية لم تكن في أى وقت من الأوقات خلال القرن التاسع عشر حسنة النية تجاه مصر. لقد كان هذا واضحا في حملتها سنة (١٨٠٧) عندما حاولت جيوشها غزو هذا البلد وقام محمد علي بطردها؛ وبالمثل إبان معاهدة لندن سنة (١٨٤٠) عندما منعت هذه المعاهدة مصر من حصد ثمرات انتصاراتها بالحصول على استقلالها الكامل؛ وبمؤامراتها المالية ودسائسها الخفية ضد الخديوى إسماعيل التى كادت أن تدمر ثروة مصر؛ وبسياستها تجاه الخديوى الشاب توفيق الذى لم يكن سوى لعبة في يديها؛ وباحتلالها غير الشرعى لمصر فى سنة (١٨٨٢)، وبالتنكر لالتزاماتها السابقة، وبسياستها فى الغزو والقهر، وهى بإعادتها للحماية قد أثبتت أكثر من مرة، وبطريقة ساخرة، أنها ليست إلا حكومة أجنبية وسيئة النية.

ولكى نوضح الطابع التعسفى لبعض الظروف الأخرى التى خضع لها المصريون وفرضتها هذه الحكومة سيئة النية أثناء الحرب، علينا أن نتذكر أن إنجلترا كان لديها سياسة مالية تكشف عن المغالاة فى استعمال القوة. وهى بعض التفاصيل حول سياستها القطنية، والتى ليست إلا مثالا واحداً من الأمثلة شديدة الوضوح لسياستها المالية. إن هذه المسألة جد مهمة حيث يشكل القطن تقريباً الثروة الوحيدة أو بالأحرى يشكل نوعاً من الثروة القومية فى مصر، وكما يعترف المستشار المالى فى مذكرته حول ميزانية سنة (١٩١٥)، فإن أى خفض مبالغ فيه فى ثمن هذه الخامة «يمكن أن يؤدي لكارثة قومية». وعندما اندلعت الحرب فى سنة (١٩١٤) انهارت الأسعار

فى البورصة من ١/٣، ١٨ ريالاً*، لسعر قطن «فولى جودفير» إلى ٢١،١٠/٣٢ ريال. وألغت البنوك كل إقراض؛ وسارعت مؤسسات الرهونات والمقرضون القلقون إلى استرداد استحقاقاتهم. ووجد الفلاحون أنفسهم على شفا الإفلاس.

ولتفادى الخسارة قرر مجلس بورصة البضائع بالإسكندرية تحديد ٣/٨، ١٥ ريالاً كسعر أدنى، إلا أن المستشار المالى الإنجليزى، لتأكيد حركة خفض هذه، ألغى هذا الإجراء الذى جاء فى وقته وذلك بأنفقه الحجج. واقتрحت الحكومة المصرية القلقة لمعانة السوق أن تشتري ٢ مليون قنطار، إلا أن المستشار اعترض بحق الفيتو معلناً أن إجراء كهذا لن يرضى لانكشير!

وفى ٢ أغسطس (١٩١٤) أصدرت الحكومة قراراً بالتسعير الجبرى لعملات البنك الوطنى المصرى؛ مما دفع إلى أن كل الذهب الذى كان ينبغى أن يكون — قانوناً — فى حوزة خزائن البنك الوطنى لتأمين ٥٠% من إصداراته توجه إلى لندن.

بهذه الطريقة استطاع النساجون فى إنجلترا تخزين القطن المصرى بغزارة وبثمن بخس، ودون أن يقوموا بتحويل عملات ذهبية، محققين بهذا أرباحاً طائلة، وعلى العكس من ذلك كان الفلاح المصرى مجبراً على التنازل عن قطنه بسعر (٨ أو ٩ ريالات) أقل من سعر العائد، «ولكى يستطيع دفع ضرائبه، كان يبيع ماشيته وحتى حلى زوجته بثمن بخس».

ولكى تغطى مؤسسات الرهونات عوائدها السنوية كانت تقوم فى الآن نفسه بالحجز وطرد الفلاحين من أراضيهم، وقد وصل هذا إلى أرقام غير مسبوقة فى الحوليات القضائية فى مصر، وبدلاً من أن تتدخل الحكومة، فإنها طالبت بحقها دون رحمة.

* يكتبها المؤلف Talaris بالفرنسية، والمعروف أن المصريين فى هذا الوقت يطلقون على هذه التسمية الريال، وهو ما يعادل عشرين قرشاً مصرياً. (المترجمان)

كانت جريدة المقطم — وهى جريدة عميلة لإنجلترا — تقول إنه فى بعض الأقاليم أرغم الفلاحون على بيع القنطار بستين قرشا (٣ ريالات)، لأن «الفلاحين كانوا ملاحقين من قبل موظفى الضرائب». ولما عاود السوق صعوده فى هذه الأثناء، وعندما كانت الأسعار تتجه إلى تحسن ملموس فى يونيو (١٩١٧)، تقرر أن البائعين ممن كانوا قد طلبوا بيع أقطانهم فى البورصة سيمنحهم تصفية أوضاعهم بسعر ٢٣ ريالاً.

وبهذا القرار وبالإغلاق المؤقت للبورصة، ومع أنه كانت لديهم مبرراتهم فى هذا «إلا أن هدفهم كان عرقلة حركة صعود السوق». وقد اتخذت فيما بعد إجراءات أخرى للهبوط بحركة السوق: منع تصدير القطن إلى البلدان الحليفة والمحايدة، وشراء الحكومة البريطانية لكل بذر القطن لسنة ١٩١٧ بثمان زهيد، وإلغاء كل تصاريح التصدير للأشخاص وللبنوك، وشراء الحكومة البريطانية لكل المحصول القطنى بسعر ٤٢ ريالاً للقنطار من «فولما جود فير»، وهو ما كان يساوى آنئذ من ٥٠ إلى ٦٠ ريالاً للقنطار.

ووقع السوق الذى فقد توازنه فى الركود. وانخفضت أسعار العقود فى الإسكندرية عن ٤٢ ريالاً، بينما بيعت عقود القطن العادى بستين ريالاً فى ليفربول، بعد خصم كل تكاليف النقل والتأمين. إن الاحتكار الذى أقامته الحكومة البريطانية بإرانتها وحدها، بثمان لم يكن مجزياً أبداً للفلاح الذى كان يعانى من الارتفاع الرهيب لأسعار المواشى واليد العاملة؛ مما تسبب فى ضرر عظيم لمصر.

وفى الأول من أغسطس سنة (١٩١٨) أغلقت بورصة الإسكندرية. وهكذا قطع عيش كل من كانوا يعيشون على هذه المؤسسة.

ولم يكن هذا كل شىء، لقد أنشأ مجلس رقابة الأقطان عدداً ضخماً للغاية من أنواع القطن المختلفة وأعطى لأربع عشرة مؤسسة فقط هذا

الاحتكار الغنى الذى تمثل فى تسلم كل قطن مصر لحساب الحكومة، وكان على هذه المؤسسات أن تختبر العينات التى كانت تسلم لها، لتصنيفها وتحديد أسعارها. وكان اختلاف الأسعار يُحدد بطريقة تعسفية، لم تكن أبدًا فى صالح البائع. وكان هذا النظام المتبنى يفتح الباب إذن على الأخطاء والتعسف بطريقة جعلت الفلاح دائمًا على شفا الإفلاس، ولكى نبين مدى الخراب ينبغى أن نتذكر أن كل محصول سنة (١٩١٤) تم بيعه بـ (١٦٥٠٠٠٠٠) ستة عشر مليوناً وخمسمائة ألف جنيه مصرى مقابل (٢٩١٤٥٠٠٠) تسعة وعشرين مليوناً ومائة وخمسة وأربعين ألفاً فى سنة (١٩١٣).

تلك كانت السياسة التى تسببت فى إفلاس العديد من الأسر المصرية، وهى أسر كانت، قبل ذلك، فى غاية الثراء، وهو ما سبب ضرراً عظيماً للبلاد.

بالتأكيد لم يكن من شأن ذلك كله تهدة الفلاح، الذى وجد نفسه وقد انتزع منه ابنه، وماشيته ومحصوله، وباختصار كل ما كان عزيزاً عليه بطريقة تعسفية، ولا إنسانية يملؤها الخزي. ليس مدهشاً إذن أن يعبر عن ألمه بأغنية شعبية طافت الريف وكانت تبدأ بالمطلع الآتى: «بلدى! يا بلدى! والسلطة أخذت ولدى!».

إن الظلم الذى راح الفلاح ضحيته، خاصة أثناء الحرب أيقظ، أو بالأحرى، قوى لديه الشعور بحقوقه؛ لقد تنبه إلى أنه كان من الواجب عليه طرد السيد الذى كان يمتص دماءه. لقد كان يفكر فى حريته المسلوبة التى كان فى حاجة إليها. من جهة أخرى، فإن الأفكار الجديدة عن الحق والعدالة التى انتشرت خلال الحرب كان لها دور كبير فى تلك اليقظة. لقد استطاع الفلاح المصرى بفضل ذكائه عبر العصور عندما كان يجمع محاصيله فى سلام، أو عندما كان يدفع بمحراثه على الأرض الرعوم أن يوجد مثلاً أعلى. ولهذا السبب «أظهر الفلاح المظلوم منذ زمن بعيد وبطريقة مفاجئة أنه قادر على أن يقاوم من أجل ما يعتقد أنه حقوقه السياسية. وإذا افترضنا أنه كان قد

غرر به مهيجو المدارس من الراديكاليين، فإن قدرته على فهم المثل الجديدة للقومية، وتصرفه بناءً على إشارة معطاة بجانب تنسيقه مع المحركين ليعتبر ظاهرة شديدة الأهمية. إن الفلاح نفسه الذى نرى صورته غالباً على الآثار القديمة، محنى الظهر تحت الكرباج قد تعلم أن يرفع رأسه ويمد يده».

دكتور و.ت. إليس^(٢) W.T. Ellis

مراسل نيويورك هيرالد New York Herald

القاهرة، الأول من يونيو

ولكن ينبغي التركيز هنا على هذه الحقيقة: إن الأفكار التى تتعلق بحقوق الشعوب وحرية الإنسان، وعلى الرغم من بساطتها ووضوحها الشديد إلا أنها لم تكن فى متناول كل الطبقات الشعبية ولا كل المظلومين. إن الظلم وحده عامل مؤثر، ولكن ينبغي إيجاد عامل آخر يندرج فى درجة حيوية الشعوب والأفراد، الذين يدركون هذا بوعيمهم وبذكائهم، إننا عندما نفكر نجد أن هذه الفئة من جماهير الفلاحين، «الذكية وسهلة الاستثارة»، والمكوّنة من «العاملين الأشداء» عندما كانوا يعاملون بقسوة، كانوا يشكلون غالبية الأمة ولم يكن ثمة عائلة واحدة ليس بين أفرادها واحد أو أكثر من الفلاحين، وهكذا نستطيع أن نفهم بشكل جزئى لماذا أخذت الحركة الوطنية المصرية هذا الاتساع وذلك الطابع الثورى.

لقد كتبت جريدة إنجليزية الفكرة الآتية حول هذا الموضوع: «كانت سياستنا شديدة التعاسة بالقدر الذى جعل الفلاحين الآن يتحدون مع الطلبة أو الأنثىجنسيا ضدنا».

ديلى نيوز Daily News، ٣ أبريل

أما بالنسبة لنا نحن المصريين، فلا يسعنا إلا أن نسعد معتبرين أن اتحاد هاتين الطبقتين اليوم قد مُهر للأبد بالدم. لقد كانت السياسة الإنجليزية

(٢) الدكتور إليس Ellis شاهد عيان عاش فى مصر أثناء الثورة، وقد وصف أحداثها فى مقالات بديعة تشهد على صدق حياديته.

سياسة تعسة لأنها حاولت أن تجعل من الظلم نظاماً، وتبذر الفرقة وتثبت الاختلاف بين طبقات أمة هي بمثابة عائلة واحدة (Divide ut regnes). "فرّق تسد".

ولنتحدث الآن عن الأنثليجنسيا فقد كان هذا الجزء من الأمة يعاني من رؤية وضع اليد الإنجليزية على مصر وهي تتفاقم يوماً بعد يوم، بينما كانت إنجلترا تعلن أمام العالم أنها كانت تقاتل من أجل انتصار الحق على القوة؛ إلا أنه لا ينبغي الاعتقاد بأننا نريد من هنا أن نستبعد كلية عالم السياسة عن عامة الشعب، لأن هذه الحرب العالمية في الحقيقة عن طريق العدد اللانهائي للأفكار العديدة والمتنوعة والمصالح المتضاربة أيقظت كل الطبقات التي لديها القدرة على الحياة وجعلتها تعي ذواتها، هكذا تحققت نبوءات لامارتين: «عصر الجماهير يقترب».

كانت الأنثليجنسيا تعاني عندما ترى في موقف مصر حاضراً بائساً ومستقبلاً مهدداً؛ إنه حاضر بائس لأن مصر أصبحت محمية، ومستقبلها مهدد حيث كان الإنجليز يعدون لتوهم مشروعات لقوانين مشنومة. كانت هذه المشاريع التي يعدها السير و. برينيا Sir W. Bruniat تعمل خاصة على إقامة برلمان مصري تكون الأغلبية فيه إنجليزية. وهل ستصبح مصر حينئذٍ إلا مستعمرة بريطانية؟

كانت الأنثليجنسيا تعاني من أن تجد نفسها تُعامل باحتقار وقسوة، وكأنها من «السود الملعونين» (Dam Diggers) أو من الغجر (البوهيميين) وذلك من قبل الأفواج العديدة من الموظفين الجاهلين المملوئين بالعجرفة ممن كانت ترسلهم إنجلترا إلى مصر بدءاً من إعلان الحماية، ومن قبل الجنود الإنجليز ممن كانوا يعتقدون «أن مصر إنجليزية وأن السكان المحليين كانوا من الملونين الذين دخلوا البلاد». «أكثر من أسترالي كان يقول إنه إذا ما كان الأمر بيده لكان قد طهر البلاد منهم».

ميس دورهام، Miss Durham

ديلي نيوز، ٢ أبريل

عدم الرضا كان عاما؛ ففي الوقت الذي خرج فيه ويلسون من برجه العاجي ليضع مبادئه، قام هذا الإنجيل الجديد للأمم بتهدئة الخواطر وسمح بالتفاؤل وهكذا أصبح المصريون مطمئنين على ضمان تحررهم. أصبح ويلسون بالنسبة لهم نبيا جديداً وأصبحت أفكاره عقيدة يبشرون بها حتى أقصى أعماق ريف مصر. وبخاصة مبدأ الجنسية الذي كان له أكبر الأثر على عقل الشعب المصري؛ لقد كان هذا المبدأ يساوى لديه بالأحرى فكرة أن المصريين كانوا يشكلون أمة^(٣) متسقة، تتحدث اللغة نفسها، ولديها الذكريات نفسها وواعية بذاتها. فمصر ليست «تعبيراً جغرافياً»، إنها أمة حقيقية لا تنتظر إلا استرجاع سيادتها لكي تلعب، دورها الحضارى، كما كان فى الماضى، تحت رعاية عصبة الأمم المستندة على الواقع الحى.

لقد لجأ المصريون تحت صعوبات الواقع الآنى إلى مبادئ ويلسون؛ لكن عدم رضاهم — الذى كان بعيداً عن أن ينفجر فى هذا الحين، فى ثورة تشل العمل العسكرى للحلفاء فى الشرق — قد ساهم فى التهدئة على الرغم من مشروعية مطالبهم. لقد قاموا بأكثر من ذلك عندما ساعدوا الحلفاء بحسن نية مساعدة فعالة، وهم يكتمون بشكل مؤقت تطلعاتهم العادلة. وعندما ساهم المصريون فى انتصار الحلفاء اعتقدوا أنهم قد ساهموا فى انتصار قضية كانوا سيستفيدون منها بحق، إذ وضعوا فى حوزة الحلفاء حوالى مليون ومائتى ألف من العمال والجنود وكل موارد الدولة من النقد، ومن المنتجات الزراعية والصناعية. ولعبت المدفعية المصرية أكثر الأنوار فاعلية. وباعتراف المارشال ألنبي Allenby نفسه «كان التعاون المصرى واحداً من العوامل الأكثر حسماً فى الانتصار على الأتراك» هكذا بررت مصر انتظاراتها لتحقيق استقلالها، بالقدر الذى كان لديها الحق فيه إذ كانت قد قبلت بالتضحيات الجسيمة من أجل قضية الحلفاء. وأصبح أمل مصر يقينياً عندما انتهت الحرب بانتصار الحق على القوة.

(٣) قدرة امتصاص هذه الأمة فى أنها تهضم كل العناصر الأجنبية وتجعلها تفقد طبائعها الخاصة.

وتحت دفع الرأى العام وبناءً على مبادرة الجمعية التشريعية التى كانت أعمالها معلقة بشكل تعسفى منذ بداية الحرب، تم تشكيل وفد، وترأس هذا الوفد سعادة سعد زغلول باشا، الوزير السابق ونائب الرئيس المنتخب للجمعية التشريعية. إنه أحد رجال (١٨٨٢)، أحد الناجين من هذه الكارثة الكبرى، والتى مازال يحتفظ منها بذكرىات أليمة. كان سعد زغلول باشا رجلاً من طراز عال، شديد الذكاء، عنيداً وحازماً؛ ذا تأثير كبير على الشعب المصرى الذى يقوده. إنه أبو الثورة، التف حوله عدد كبير من النواب ورجال من كل المهن.

ولكن ليعطى مهمته طابعاً مزدوج الشرعية قام هذا الوفد بنشر عرائض فى البلاد من أجل التصديق على هذا الاختيار الذى تم. وفى الحال سارع أعضاء الجمعية التشريعية، والمنتخبون المحليون، والمنتخبون الإقليميون، باختصار كل ما يشكل البلاد بشكل شرعى: الموظفون، وضباط الجيش، والأطباء، والمحامون... إلخ. سارعوا جميعاً بالتوقيع على العرائض. ووصلت التوقيعات إلى مليونى توقيع، عندما قرر وينجت باشا* Wingat pasha ممثل إنجلترا التدخل، وكان منذ البداية غير متببه لهذه الحركة. فأمر بمصادرتها، إلا أن الوقت كان متأخراً لأن النتائج التى تم الحصول عليها كانت تشهد بإجماع الأمة بإرادتها على أن تكون حرة. وطلب الوفد الذى ساندته الأمة تصاريح تجيز له السفر إلى إنجلترا وفرنسا بغرض الدفاع عن قضية مصر. لقد كان الوفد المصرى بفكرة سفره إلى إنجلترا قد أخذ على عاتقه أن يبين حقيقة الموقف المصرى إلى الرأى الحر الإنجليزى؛ الذى كان قادتّه يوقعونه بشكل منظم فى الجهل بما يحدث. فى هذا الحين استخدم وينجت المماطلة والحجج الواهية لكسب الوقت، تاركاً رئيس الوفد يأمل فى نتيجة مشجعة.

* المندوب السامى البريطانى فى مصر سنة (١٩١٩). (المترجمان)

ومن جهته طلب رشدي باشا، رئيس الوزراء خلال فترة الحرب بأكملها وهو الوفي للإنجليز، تصريحاً لكي يذهب مع أحد زملائه ليعرض حلاً للمسألة المصرية على الحكومة الإنجليزية. ولكنهم تناسوا وفاء رشدي الشديد وكل الخدمات التي قدمها للإمبراطورية وفي سبيل الحق، واعترضت السلطات العسكرية أيضاً على سفره. وأمام تهديد رشدي بالاستقالة تنازلت إنجلترا، إلا أن رشدي باشا أمام ضغط الرأي العام أصبح أكثر سخطاً فأكثر، فرفض، أو بالأحرى وضع شرطاً بأن يصطحبه الوفد الذي وكلته الأمة. فرفض شرطه هذا، وهنا قدم استقالته في ٢٣ ديسمبر (١٩١٨)، لكي لا يتحمل أمام التاريخ «هذه المسؤولية الرهيبة: وهي أن يكون رئيساً لوزراء مصر ولا يعبأ بمصيرها، في تلك اللحظة التي سيتحدد فيها مصيرها بشكل نهائي». وعن هذه الاستقالة تقول جريدة المورنينج بوست morning post في عددها الصادر في ٢٩ يناير: إنها قدمت في ظروف جعلت المهمة صعبة على أي مصري آخر يمكن أن يشكل حكومة جديدة دون أن يتعرض لتراجع شعبيته. منذ ذلك الحين وحتى شهر أبريل، وخلال أكثر من أربعة أشهر، كانت مصر تعيش حالة غريبة لبلد خال من السلطة التنفيذية والتشريعية. أما فيما يخص الوفد، فلم يتوقف عن الاحتجاج بالتلغرافات والخطابات الموجهة إلى المقيمين من الأجانب، وإلى القنصليات، وإلى الحكومة الإنجليزية، وإلى مؤتمر السلام، لكن دون جدوى.

وتبعاً للصياغة الصحيحة لمجلة أوربا الجديدة «كان الشعب المصري أسيراً داخل حدوده». وإذا كانت إنجلترا قد استطاعت حبس شعب من أربعة عشر مليون نسمة، إلا أنها عجزت عن خنق صرخته التي كانت تعلو. لكنها نجحت في الوصول بإحباطه وآلامه إلى أعلى درجة. لقد أصبحت مصر بإرادة إنجليزية كالإناء المكثوم!... أمانى مرتعشة، وانفعالات تغلي، وغضب يعتمل، وكانت أوربا تجهل كل هذا. ألم يكن وادي النيل بالنسبة لها غير مستعمرة إنجليزية؟ كانت وزارة الخارجية البريطانية تعلم ذلك، ولكنها كانت

تأمل معالجة المرض بإنكار وجوده. إنها سياسة تبسيطية ذات نتيجة مدمرة».

فكتور مرجريت Victor Margueritte

صوت مصر

(قيام الثورة)*

لقد وصلت سياسة الخنق تلك إلى الدرجة التي جعلت أى مصرى فى أوربا لا يستطيع معرفة ما الذى حدث وما الذى كان يحدث فى مصر. وبصدفة فريدة تظهر الإجماع وعفوية الشعور الوطنى، قدمت الجمعيات المصرية التي كانت قد تشكلت فى العواصم الأوربية، وأثناء تقديم الوفد المصرى فى الداخل لاعتراضاته، الاعتراضات المطالب الوطنى نفسها.

وبذلت الجمعية المصرية فى باريس مجهوداً كبيراً كنا نشعر أن علينا واجباً لإبراز من خلال وصف خيانتهم لحليف الأمس (مصر) ومن خلال هذا التكرار للمبادئ التي حارب من أجلها الحلفاء، اتضح فى الوقت نفسه هدف إنجلترا الإجرامى والفظ بشكل جلى ومحدد. لقد ظهر هذا الهدف أكثر وضوحاً عندما استمرت إنجلترا فى ممارسة سياسة الاستغلال والاستعباد على المصريين. وعلى سبيل المثال: فقد أسند إلى الإنجليز ثلاثة آلاف وأربعمائة وسبعين وظيفة جديدة، على حساب المصريين، وذلك خلال شهرين من نهاية الحرب.

واستمر رئيس الوفد بالرغم من كل ذلك فى المطالبة بالتصاريح وألح بشجاعة على الحصول عليها، إلا أن إلحاحه تسبب فى نفيه وثلاثة من زملائه^(٤). إلى مالطا فى ٨ مارس سنة (١٩١٩) بأمر من الجنرال واطسون Watson. لقد ألقوا على جبين الأمة سبة وتحدياً بنفى الممثل

* هذا العنوان من إضافتنا. (المراجعة اللغوية)

(٤) هؤلاء كانوا: حمد الباسل باشا، ومحمد محمود باشا، وإسماعيل صدقى باشا.

الشرعى للأمة المصرية، دون محاكمة أو تفسير، وقبلت الأمة التحدى. وأعطى هذا العمل المستفز إشارة الثورة. وفى التاسع من مارس ترك طلاب المدارس العليا فى القاهرة مدارسهم وقاموا بمظاهرات سلمية بهدف الاحتجاج، ولكن تم القبض على مائة وعشرة طلاب منهم.

وفى العاشر من مارس خرج طلاب كل المدارس العليا والثانوية. إضافة إلى طلبة جامعة الأزهر (التي لا يقل عدد طلابها عن عشرين ألف طالب) خرجوا يتظاهرون فى الشوارع وهم يهتفون: «مصر للمصريين!» وفى اليوم نفسه قرر المحامون الإضراب، وأعلن كل محام بشكل منفصل أمام القاضى أنه سيتوقف عن الدفاع عن موكله، «لأن العدل الحقيقى هو الذى يخص مصلحة الأمة، وليس المصلحة الخاصة»؛ وسُجِّل هذا الإعلان فى المحضر الرسمى، وقام السائقون والمحصلون بترام القاهرة بالشىء نفسه ليتظاهروا. ولكن قوبلت هذه المظاهرات السلمية بنيران المدافع والرشاشات، وسقط العديد من الضحايا بين الطلاب، وانتقل خبر هذا القتل الجبان من القاهرة وكأنه شرارة كهربائية، ألهمت البلاد بأكملها.

وينبغى أن نذكر هنا بأنه قد رُفِعَ عن المصريين فى بداية الحرب كل إمكانيات الدفاع عند جمع كل الأسلحة النارية وعند منعهم حتى من حمل العصى التى كان يتجاوز حجمها قدرًا معينًا. ولكى يلجأ الشعب المصرى إذن — هذا الشعب الوديع — فى مثل هذه الظروف إلى العنف، يعنى أن ما حدث هو أكثر من تعسف وأكثر من استفزاز مذل. وقامت فى كل البلاد هبة شعبية عفوية. فقام الفلاحون الثائرون فى شمال وجنوب مصر، تمامًا كما كان فلاحو فرنسا بالأمس يريدون إنقاذ بلادهم أثناء الثورة الفرنسية، هجروا حقولهم بالآلاف لكى يدمروا قضبان وعواميد السكك الحديدية، ويحرقوا المحطات.

وفى نبأ رسمى «إنه فى السادس عشر من مارس هاجمت جمهرة من

الفلاحين الذين جاءوا من القرى المجاورة المركز (المدينة) وحرروا
المساجين». وبينما كان الجنود مستمرين في مواجهة المتظاهرين المسالمين
بضربات سنج البنادق والمسدسات، وقذف القرى بطائراتهم، «لم يتوقف
المتظاهرون في اليوم التالي عن التضحية رغم ضحايا اليوم السابق، وسقوط
رفاقهم قتلى أو جرحى بالعشرات في الشوارع». لقد كانت مصر بمثابة قلعة
ضخمة محاصرة ولتفادي طلقات الرصاص الإنجليزى كان الناس في المدن
الكبيرة وفي القرى يختبئون خلف السواتر في الشوارع وخلف أكوام من
الحجارة، كانوا يحفرون خنادق حول القرى لكي يحموها من العربات
المدرعة. وازدادت في هذه الأثناء وطأة المظاهرات. حيث شاركت فيها كل
الطبقات. تحدثت جريدة القاهرة في عددها (الصادر) في ١٩ مارس عن
إضراب سائقي الحناطير، والعرجية وعمال الشركات، ومنضدى الحروف،
وعمال المطابع ومصانع السجائر والعمال بصفة عامة، وتحدثت الجريدة في
مكان آخر عن إضراب الخبازين^(٥)، والجزارين، وكناسى الشوارع... إلخ.
وهذا هي الكيفية التي تصف بها هذه الجريدة المظاهرات التي قامت يوم ١٨:
«دارت مظاهرة بالأمس في هدوء شديد؛ فبدأت في الثامنة صباحاً. ولم تنته
إلا في الخامسة بعد الظهر». «كان المتظاهرون يهتفون أثناء المظاهرة: تحيا
مصر! تحيا الأمة المصرية! وبقدر ما يتقدم المتظاهرون كانت ترداد
صفوفهم، ويمكن القول إن عددهم قد وصل في وقت ما لأكثر من الصنف.
وكنوا يمثلون كل طبقات المجتمع».

ومن أجل صالح البلاد كان الموظفون فحسب هم الذين لم يقرروا
الإضراب. ولكن عندما أعلن اللورد كيرزون Lord Curzon في الرابع
والعشرين من مارس في خطابه أمام مجلس العموم بإنجلترا شكره للموقف
المخلص للموظفين، أرسل الموظفون في الحال احتجاجاً مكتوباً للسلطان

(٥) في عددها الصادر في ١٠ أبريل قالت الحريضة: «أضربت الأفران البندية بالأمس
لتعبر عن مشاعرها وتضامناتها مع أماني الأمة».

وتبعوه بإضراب عام. وهكذا لم تكن هناك وزارة، ولا شرطة، ولا جيش، ولا قضاء، ولا بريد، ولا محلات، ولا وسائل اتصال. وشلت الحياة تماماً؛ لأن الجميع من الباشا وحتى كناس الشارع المسكين، نزلوا إلى الساحة العمومية وألقوا بأنفسهم في الثورة. إن مشهد التضامن الوطني هذا — بخاصة — هو ما هز مشاعر الشهود الذين بهروا بهذا المشهد.

(مظاهر التضامن الوطنى)

(مشاركة كل الأديان والأجناس والأعمار)*

مشاركة كل الأديان:

كان الأقباط المسيحيون، باعتراف جريدة المورنينج بوست نفسها فى ٩ أبريل، أكثر ملكية من الملك. فكانوا من بين الأكثر تمسكاً بالفكرة الوطنية وأوائل من وقعوا ضحايا من أجل قضية الاستقلال. كان القساوسة المسيحيون يدعون من أعلى المنابر إلى حب الوطن، كذلك كان مشايخ وعلماء جامعة الأزهر الإسلامية فى الكنائس. وظهر على العلم الوطنى الصليب مع الهلال والنجوم الثلاثة التى يحملها العلم المصرى. «كنا نرى قساوسة مسيحيين فى سيارة مزينة بالأعلام الوطنية تجوب الشوارع وعليها صورة البطريق القبطى، رأيت أحد هؤلاء القساوسة يضع يده فى يد أحد العلماء المسلمين داعياً الجماهير إلى حب الوطن الأم». المنظر الأكثر تأثيراً كان ظهور أعلام يحيط فيها الهلال بالصليب وكأنه يحتضنه، مع هذا الظهور كان يصيح الجمهور الثائر: «تحيا مصر الوطنية، عاش الوطن متحدًا».

خطاب ويدا واصف بك

عضو الوفد المصرى، ٢ أغسطس

هكذا أعطت مصر المسلمة للعالم أعظم الأمثلة على التسامح والوحدة المقدسة. ومثلما حدث سنة (١٧٨٩) بفرنسا عندما صنع العلم الفرنسى من علم باريس متصالحاً مع العلم الملكى، ها هو رمز المسيحيين ورمز المسلمين يتضامنان فى علم مصر الجديد. فيحتضن الهلال الصليب رمزاً رائعاً، وكم سيكون المستقبل باهراً! (فكتور مرجريت Victor Margueritte).

* هذا العنوان من إضافتنا. (المراجعة اللغوية)

عندما نفكر أن بين أربعة عشر مليوناً من السكان في مصر، يوجد اثنا عشر مليوناً من المسلمين وأن كل الجمهور المسلم قد حمل الصليب، وأكثر من هذا فقد سُمح للقساوسة المسيحيين بالصعود على المنابر في المساجد وأن «يمتهنوها»، وعندما نعتبر من جهة أخرى، أن القساوسة الأقباط تركوا العلماء المسلمين يدخلون الكنائس ويحمسون من أعلى المنابر بعقيدة الحرية، مما يعتبر من جهة أخرى تدنيًا لأماكن مقدسة أو ما يشبه هذا، علينا الاعتراف بأن هذا الحدث يشكل في حد ذاته، من وجهة النظر الإسلامية كما هو من وجهة النظر المسيحية، نوعاً من الثورة السياسية — الدينية.

مشاركة الجنسين:

لقد تركت النساء المصريات الحرملك بالمئات ليتظاهرن ويتحادثن في أمور السياسة. لقد قدمت إحدى مظاهراتهن — التي صُرح بها أولاً ثم أوقفت بالقوة المسلحة — مشهداً شديداً التأثير، وكشفت عن شجاعة المرأة المصرية التي تماثل المرأة الرومانية، وحين أن كانت المتظاهرات محاطات بصفين من الجنود الذين كانوا يهددونهن بسنج البنادق ويمنعونهن من السير أو العودة إلى منازلهن، تقدمت إحداهن^(٦)، وفتحت صدرها لجندى كان قد هددها، قائلة له: «اقتلني إذن لكي يكون هناك ميس كافيل أخرى Miss Cavell». ولم يكن باستطاعة النسوة العودة إلى منازلهن بغير تدخل القنصليتين المصرية والإيطالية، وذلك بعد انتظارهن لمدة ساعتين تحت شمس محرقة! وألقت أنسة مصرية خطاباً بالفرنسية أمام فندق شبرد قالت فيه «لن أتزوج لكي لا ألد طفلاً يستعبده الإنجليز».

(٦) إنها زوجة سعادة شعراوي باشا، نائب رئيس الوفد المصري.
* هي هدى شعراوي (١٨٧٦ — ١٩٤٧) رائدة الحركة النسائية، التي قادت تنظيم ومشاركة النساء في الثورة، وكان لها دور فعال بعد ذلك في إنشاء لجنة الوفد المركزية للنساء التي ترأسها، وفيما بعد رئيسة الاتحاد النسائي المصري.
(المترجمان)

مشاركة كل الأعمار:

كان الأطفال من سن عشرة إلى اثني عشر عامًا ينادون، كالشيوخ بنفس صيحات الحب والأخوة. وأطلق على أحدهم النار بغزارة لأنه هتف قائلاً: «تحيا الحرية!» أمام كتيبة إنجليزية. وشُيع في جنازة مهيبة وكان خلف نعشه جمهور بلغ مائة ألف رجل (وليس عشرة آلاف كما زعمت جريدة التايمز Times)، وكان بين المشيعين قضاة ومحامون بأروابهم. وكنا نقرأ على الأعلام السوداء التي كانت تتبع الركب، «من أجل شهداء الحرية». وفي بورسعيد أصيب طفل يبلغ عمره اثني عشر عامًا برصاصة إنجليزية في صدره لأنه هتف لمصر والحرية أثناء مظاهرة كان يحمل فيها العلم. في الحال هرع إليه الجنود البريطانيون لينزعوا منه العلم المصري الذي كان يمسك به في يده ولكنه تشبث به. ولم يستطيعوا أن ينتزعوه منه إلا عندما فارق الحياة، ضارباً لمواطنيه مثلاً حياً في البطولة والفداء. إضافة إلى ذلك فقد تقدم الأطباء إلى السلطات العسكرية الإنجليزية وإلى أعضاء البعثات الدبلوماسية باحتجاج ضد مذبحه الأطفال الذين لم يتجاوزوا اثني عشر عامًا. وقد أدى موت الأطفال وعلى الأخص الفتيات إلى جنازات ضخمة وعظيمة، شهدتها القاهرة يومياً. ولعل هذا كان أحد الجوانب الأكثر تأثيراً للثورة. يرسم الدكتور إليس Ellis بعضاً منها في اللوحة التالية بجريدة نيويورك هيرالد الصادرة بنيويورك يوم ٢٠ يونيو: «بدلاً من أن نشاهد جمهوراً ثائراً، يصرخ شاهداً في السادس من أبريل بعد الظهر جنازات شديدة التنظيم، كانت تتقدم ببطء وجلال».

«لم تشهد القاهرة أبداً شيئاً مماثلاً. كنا نرى في البداية أناساً على دراجات يشقون الطريق ويعطون التحذيرات للجمهور الذي كان يمشي على الأرصفة، ثم صفوفًا طويلة من الطلاب في زي موحد على جانبي الطريق. «يتبعهم الموظفون وهم يرتدون زيهم الرسمي وفرقة من الموسيقيين الذين ارتدوا ملابس مزينة بشرائط ذهبية».

لقد كانت أردية الفرقة على الطريقة الأوربية، غير أن الموسيقى التى كانوا يعزفونها شرقية، إنها لحن جنازى بطيء وحزين، يتنسم حزن الشرق العريق... هل هى الموسيقى أو المناسبة التى جعلت هذا الحشد الصاخب يبدو بهذا الهدوء؟ هدوء يلف الموكب وهو من النادر جدًا أن نجده فى الشرق. وقد توقف كل نشاط فى الطرق الكبرى التى كان يمر بها الموكب. «لم يكن منظرًا لجمهور هائج. فبعد الطلاب، والجنود، والموظفين، كان يمشى علماء الأزهر، الجامعة الرئيسية فى العالم الإسلامى، أناس وقورون يرتدون العمامات والجلابيب الواسعة (الكاكولة) ثم صفًا وراء صف يأتى الأفندية، من المصريين المتقنين الذين كانوا يرتدون على الطريقة الأوربية فيما عدا الطربوش ثم الأساتذة، وأصحاب المهن الحرة، والتجار والطلاب. وتدرجياً تصل الصفوف إلى العمال والفلاحين عندما تقل كثافتها. وكان وجه الجميع شاخصاً وحزيناً...».

لقد كان العلم المصرى يلف النعش نفسه الذى كان يحمله الطلاب على أكتافهم، وكان بداخله جثمان طفل استشهد فى اشتباك وقع بين الجنود والجمهور... قدم هذا الموكب نوعين من البراهين. إذ شاهدنا فى البداية أحد العلماء بصوت عالٍ ومؤثر، تماماً كنتك الأصوات التى نسمعها من أعلى المآذن فى العالم الإسلامى أثناء الأذان يصيح: «لعنة الله على القتلة!» وعلى إثر هذا، كان الناس الذين يتبعون الموكب يرددون: «آمين» وهذه الكلمات تسمع كصدى للصوت فى الكنيسة. وكان البرهان الآخر يأتى من الهتافات المتقطعة وبناءً على إشارة تُعطى: «يحيا الفداء من أجل الحرية!» لقد وجد الشرق بمشاعره المتأثرة بكل هذا صيحة لمعركة أكثر واقعية من تلك الشكاوى المتنوعة والمختلفة ضد الإنجليز.

كان هذا الموكب هو الدليل الذى أعطى على قدرة التنظيم والنظام لدى المصريين إذ كان أكثر تأثيراً من كل الصيحات أو من عظمة الموكب

الجنائزى. ففي الوقت الذى كنا ننتظر فيه انفجار عنف مجنون من قبل الرعاع، حضرنا على العكس هذا المشهد العارم للنظام الكامل والاعتدال. لقد حافظ الطلبة على السلوك الطيب للجمهور، وهو ما لم يستطع أن يقوم به الجنود أو رجال الشرطة. فقد كان كل شىء يحدث فى هدوء، ودون احتكاك وبجلال حقيقى.^(٧)

كانت ضربة ذكية. وكأن الموكب الجنائزى أراد أن يقول: «هل تعتقدون أننا غير قادرين على حكم أنفسنا. انظروا فيما نحن قادرون على فعله فى أوقات تاريخنا. نحفظ النظام دون مدافع أو قوات عسكرية، ونصوغ احتجاجنا، مع احترامنا وتحكمنا فى أنفسنا».

لقد حقق هذا الموكب الأول — فى الواقع — نجاحًا كبيرًا وهو ما عاد فى اليوم التالى على نطاق واسع؛ إذ كان الموكب الثانى يضم من خمسة إلى عشرة آلاف رجل. وتتووع التقديرات بشكل كبير^(٨) لم يكن هناك سوى عدد ضئيل من الأعلام، ولكن كان الجميع يحملون الصليب والهلال... وكُشف الطابع المشنوم للجنازات فى حادثة كنت شاهداً عليها، عندما وصلت دورية من شارع متقاطع.

«وكان طبيعياً أن يكون المرور متوقفا بسبب الموكب».

(٧) م. ج. جرين ليرميت M. J. Grain - Lhermitte الذى درس المسألة المصرية «فى واقعها» ورأى عن قرب الوطنيين المصريين فى حالة الفعل واتفق مع د. إليس فى الأفكار نفسها: «إن مصر هى البلد الأكثر تسامحا فى العالم. شاهدنا بأنفسنا مناظر أكثر إقناعا، مثل جنازة الوطنى القومى الكبير مصطفى كامل الذى سار وراء موكبه أكثر من مائة ألف رجل يتبعون كل الأديان، واستطاع أن يسير فى مدينة القاهرة كلها، دون أن تحدث أى صرخة، ولا أقل تدافع. فى هذه الأثناء لم يكن هناك أية قوة شرطة مجهزة خصيصا لهذا اليوم» (أروب نوفيل L'Europe Nouvelle، ١١ أكتوبر).

(٨) «كان يتبع الجنازات من الجماهير من ٢٥ ألفا إلى ٣٠ ألف شخص» (إيليستراسيون Illustration، ٣ مايو).

فقد كانت هذه المظاهرة قضية جدية... وقاد الجندي الذي كان فى المقدمة حصانه نحو الجنازة، معتقداً أنه يمكنه متابعة سيره بحرية.

وبدلاً من أن تتركه جمهرة الأفندية يمر اقتربوا من بعضهم البعض أكثر فأكثر. لم يكن هناك أى صراخ، ولا احتجاج شديد، فقط هذا الإغلاق الصامت والمحكم للصفوف كان بمثابة جدار قوى من الرجال المتشحّين بالسواد ضد هذا الدخيل المسلح. توتر الموقف للحظات، وبدأ الأسى على وجوه الجمهور.

كان يمكن لأية حادثة أخرى أن تخلف جنازات جديدة.

فى تلك اللحظة أمر رقيب الدورية رجاله بالانسحاب. ولم نسمع أية صيحة للانتصار من قبل المصريين. استمروا فقط فى مسيرتهم الصامتة، ووجوههم أكثر تعبيراً عن الحداد. كان موقفهم يعبر ببلاغة عن المعنى التهديدى للمظاهرة. الكبير والصغير، رجل الدين، والمحامى، والقاضى، الأستاذ والطالب، التاجر والميكانيكى والفلاح. كان الجميع يسرون فى الصف بانتظام، معلنين للعالم تضامن الوطنيين فى قرارهم.

حتى الملاحظ ذو التفكير المحدود لم يعد فى استطاعته إنكار أن كل طبقات المصريين كانت وراء هذه الحركة الجديدة التى دخلت فى نزاع مع السلطة البريطانية^(٩)

«فى اليوم التالى للجنازة الثانية استسلمت الحكومة البريطانية، استسلاماً كاملاً وبدون شروط. كان هذا عملاً سياسياً، مليئاً بالعظمة والشجاعة والحكمة»^(١٠). إذا لم يكن — للأسف — قد دمره الغضب المجنون للضباط والجنود الإنجليز...

(٩) كان لجريدة التايمز Times رأى آخر إذ قالت فى ١١ أبريل: «الحقيقة أن الجزء الأكبر من جماهير القاهرة لم يشترك فى أى لحظة مع الثائرين (!)».

(١٠) إنه إطلاق صراح المنفيين، بتاريخ ٨ أبريل، بناء على أمر الجنرال النبى.

شهدت القاهرة فى يوم الأربعاء ٩ (من أبريل)، جنازات أخرى من نوع آخر، وهو ما أقلق المراقبين الأجانب، فبدلاً من نموذج المراسم الصامت، كان هذا الموكب صائتاً وأعطى فرصة لصياح تملؤه اللعنات والتحدى...

كان العشرات أو المئات من الأشخاص فى نهاية الموكب يحملون فى أيديهم بشكل علنى (شوما) وبعض الأسلحة الأخرى التى وجدوها فى متناولهم. كانوا يتقدمون نحو المخاطر. وفى الحقيقة كانوا ينتظرونها. لحسن الحظ كانت قيادة الجيش فى هذا الوقت قد تعلمت درساً؛ فاحتفظت بجنودها، ومنعت كل فرص الاستفزاز.

كل لمحات العظمة فى التنظيم والنظام التى سادت الجنازات السابقة سادت أيضاً هذه الجنازة إلا أن هذه فحسب حملت طابعاً أكثر تعبيراً. فموظفو بيت السلطان كانوا قد ركبوا خيولهم فى الطليعة، وكان يبدو أن قوة الشرطة المحلية حضرت بكاملها داخل الموكب.

كانت هناك أهمية كبرى فى ترابط المسيحيين والمسلمين، وذلك عندما لف أحد النعوش بالأعلام المصرية وكان يحتوى بداخله على جثمان مسيحى. كان قد وضع على النعشين الأولين البدلتين الرسميتين للصحيتين: كانا رجلا شرطة استشهدا أثناء كفاح عشية أمس...

إن ما جعل الموقف برمته مهدداً هو كلمة التحدى التى وجهت علانية فى وجوه الإنجليز...

يرفع الناس فى الصفوف الأولى أيديهم إلى السماء، ويقوم من خلفهم بالدعاء بلعنة الله على الإنجليز: "تحيا الأمة!" "عاش الاستقلال التام" "مصر للمصريين!" "يسقط الظالمون" "لعنة الله على القتلة" "عاشت الحرية!" تلك كانت الهتافات واللعنات التى كانت تسمع على طول الطريق.

وفى يوم الجمعة احتفى بجنازات شعبية أخرى حملت نعوشها ثمان ضحايا من الثائرين. كانت هذه الجنازات جديرة بالملاحظة، خاصة وقد حضرها رجال الدين من الأقباط بصحبة رجال الكنيسة بالزى الرسمى بألوان الأرجوانى والأبيض والذهبى، وبصليب النحاس الكبير للمذبح الرئيسى، كانوا يسرون فى الصف على الأقدام، جنباً إلى جنب علماء الأزهر المسلمين؛ وكنا نلاحظ عدداً ضخماً من الأعلام عليها الصليب والهلال. كانت سبعة من هذه النعوش الملفوفة بالأعلام محمولة على الأكتاف تبعاً لعادة البلاد.

كان أحد هذه النعوش ليهودى، وكان مسبوقاً ومتبوعاً بوفود تحمل علم صهيون وموضوعاً داخل عربة موتى مزينة^(١١) *
«أعلنت أربعة جنازات بوضوح وببلاغة عن روح التنظيم المصرى، واعتدال، وتضامن ورفض مصر لسلطة التسلط الأجنبى. حفرت اليوم هوة عميقة كعمق قبر بين الشعب المصرى والإمبراطورية البريطانية. وإلى جانب هذا الشعب سيرتدى العالم كله الحداد».

(١١) كان هناك أيضاً نعش لشابة: الأنسة شفيقة، حظيت كثيراً بالبكاء، فى رثاء نثرى شهير كتبه أحد المعاصرين.

* يثبت هذا الوصف للكاتب بما لا يدع مجالاً للشك فى أن اليهود المصريين كانوا جزءاً لا يتجزأ من نسيج الأمة بلا تفرقة، بل وتولى أحد أفراد الطائفة اليهودية بمصر الوزارة (قطاوى باشا وزيراً للمالية) والمشكلة الأساسية اليوم ليست مع اليهود كأتباع ديانة سماوية، بل مع الصهاينة الذين قاموا بتشريد الشعب الفلسطينى واحتلال أرضه والأراضى العربية بالقوة، وما زالوا يقيمون هذا الشعب إلى اليوم. وكان السربونى يقصد بعلم صهيون العلم الذى يحمل نجمة داود، وبطبيعة الحال لم تكن الدولة العبرية التى أقيمت على الأفكار الصهيونية قد أعلنت بعد على أرض فلسطين، ولم يكن المثقفون العرب آنذاك قد اكتشفوا بعد خطورة الحركة الصهيونية على أوطانهم، ولعل انهماكهم فى قضيتهم الوطنية جعلهم يركزون اهتمامهم بها وحدها... (المترجمان)

وبهذا التقدير الجلى لهؤلاء الشهداء الذين يمثلونه فإن الشعب المصرى أحترم ذاته، وحبه للتضحية، وولاءه للوطن المغتصب والجريح. لقد وجد اللحن الأكثر تأثيرا على الشعور والأكثر قداسة. لم يعرف أحد غير الشعب المصرى أن يطبع صورة أكثر فظاعة لمحتله الظالم. كانت هذه الجنازات هى التعبير الأكثر جلاء لإرادة أمة طمحت فى حياة جديدة. ضحت مصر بأبنائها من أجل إنقاذ أعقابها، «مثل الطبيعة التى تعتنى بحفظ السلالة دون اهتمامها بالأفراد».

احتفل بروح التضحية تلك وبهذه الوحدة المقدسة فى نشيد وطنى من ثلاث رباعيات، يمكننا أن نطلق عليها بحق «مارسييز * شعب مضطهد»:

رسول السلم إن جئت الكنانة فانثر الزهرا
على الأعتاب، قل للشرق قد أنست فى مصرا
بوادى النيل والدلتا تراث حضارة كبرى
هى الأولى سنبعث مجدها ونجدد الذكرى
يهون الموت ما دامت بنود الحق تحمينا
ويجمع بيننا وطن سنجعل حبه دينا
ويرعى خطونا رب بنور الحق يهديننا
فإما النصر أو نيل الشهادة وهى تكفيننا
سنهوى كالصواعق فوق رأس المعتدى الأثم!
ونهتف سوف تحيا مصر أم حضارة العالم!
ويحيا شعبها حرا يعيش شبابه الدائم!

* ويعنى النشيد الوطنى الفرنسى الذى قام بتلحينه روجيه دى ليل أثناء الثورة الفرنسية والذى أطلق عليه فى البداية «نشيد حرب جيش الراين». (المترجمان)

ويحيا سعد! يحيا كل من ضحى ومن قاوم! **

ويعكس هذا النشيد بطريقة تستدعي الإعجاب صورة مصر المبتسمة أمام الموت، فهو نشيد — لا أدرى — فهو مرح وحزين، صاف وعاصف. ورغم أن هذا النشيد قد كتبه كاتب غير معروف على نمط نشيد السلطان للموسيقار المعروف فيردى Verdi، كاتب أوبرا عايدة، فإنه قد تفوق عليه، إذ في كل مرة يُغنى فيها نشيد السلطان يبدأ جمهور المتظاهرين بترديد كلمات نشيدهم على لحن نشيد السلطان نفسه.

وبعد أن رأت إنجلترا أن القوة لا يمكن أن تتغلب على مثل أعلى لشعب بأكمله نهض ككتلة واحدة في مواجهة الحماية البريطانية، غيّرت إنجلترا من أسلوبها: فعندما عُين الجنرال ألنبي مندوبا ساميا فوق العادة في مصر، قرر رفع القيود وأطلق سراح أعضاء الوفد الأربعة الذين تم نفيهم بشكل تعسفي إلى مالطا. واستقبل خبر تحرير المنفيين استقبالا حافلا لا يوصف في كل البلاد. «وأقيم في كل أنحاء القاهرة، وبشكل عفوى — حفل ضخمة»^(١٢)

شهدت القاهرة حفلات غير عادية. فمنذ الظهيرة غزت الجماهير الشوارع، ملوحة بالأعلام وحاملة أغصان الأشجار.

وبطبيعة الحال كان العلم المصرى هو الأكثر وضوحا، إلا أنه كان هناك أيضا أعلام فرنسي . وإيطالية، وأمريكية، بينما كان غياب العلم البريطانى ملفتا للنظر.

وكانت أكثر الظواهر شدا للانتباه هي حضور النساء المصريات وهن يلوحن بالأعلام.

** هذا النشيد هو الذى قام بإعادة صياغته بالعربية الشاعر د. حسن طلب. (المترجمان)
(١٢) إيليستراسيون Illustration، ٣ مايو.

«يقينا تغير العالم. فلم يكن أحد يستطيع التنبؤ منذ بضعة أشهر بأن نساء الحرملك المصريات سيجتذبن داخل حلبة السياسة. فالقاهرة اليوم أعطت لنفسها كل الحق في الفرحة. كان الترام محاطا بالجماهير التى كانت تصعد فوقه، وشاهدنا مناظر شديدة الغرابة. فعلى سطح ترام اختبأت مجموعة من الأشخاص، بينما على سطح ترام آخر نشاهد بنات يقمن بالرقص البلدى.

فى الحقيقة، فى بعض الأوقات كانت المدينة أشبه بسيرك».

رويتـر Reuter، ٨ أبريل

«استمرت المواكب طوال اليوم، ولم تنقطع صيحات الفرح، كنا فى كل مكان نسمع إلى الصيحات نفسها: "مصر للمصريين!" اشترك فيها عدد من النساء مرة أخرى. وحضرنا حدثا فوق العادة: امرأة وهى تتحدث فى اجتماع كبير أمام قصر السلطان».

رويتـر Reuter، ٩ أبريل

ونسجل برضا هذه الاعترافات الفريدة لووكالة رويتـر، ولكى نستكمل هذه اللوحة سنستعين بالتفاصيل الآتية من جريدة القاهرة Journal du Caire: عشنا بالأمس ساعات لا تنسى... ظهر مئات الآلاف من الأشخاص فجأة وبسرعة من كل أنحاء المدينة القديمة، جموع بشرية مكدسة على كل أنواع العربات، «الكارو» الشعبية تركبها العوالم (الراقصات المصريات) وهن يرقصن رقصاتهن التقليدية على إيقاع موزون من التصفيق، كان الترام يختفى من فرط ما عليه من جمهور مخمور بالفرحة... (٨ أبريل)

استعيدت المظاهرات هذا الصباح أيضا...

كل الأعيان المصرية شاركوا فيها...

كان الموكب يمر حسب النظام التالى: عدد من جنود الجيش المصرى،

شباب الطلبة من المدرسة الحربية، العلماء والقساوسة متآخون، وآلاف من الطلبة والموظفين، وعمال خدمات الكنس والرش،... إلخ» (نفس المرجع، ٩ أبريل). وتلاحظ هنا إحدى الوقائع: وهى أن الموظفين، وجنود الجيش المصرى، ورجال الشرطة، كانوا يشاركون بعفوية فى كل المظاهرات الوطنية، مضيفين على هذه المظاهرات الشكل الرسمى ضد إرادة الحكومة الإنجليزية التى كانوا يتبعونها. ويكتب د. إليس Ellis فى جريدة النيويورك هيرالد New York Herald فى ٢١ يونيو معلقاً على خبر إطلاق سراح المنفيين وتأثيراته: لقد ترجم الخبر بشكل عام على أنه يصب فى صالح الحرية الوطنية. ويبدو أن الجماهير قد اعتقدت أن الاستقلال قد مُنح لمصر. لم نستطع الشك أبداً فى أن الوطنية قد تغلغت حتى فى قلب أكثر الناس تواضعاً. ويمكن لأى فرد أمام مكتبه فى لندن أن يساند تلك الفكرة بأن أبسط الفئات الاجتماعية من المصريين لا تعرف شيئاً عن النزعة الوطنية أو لا تود معرفة شىء عنها، ولكن لا يمكن لأى إنسان يرى القاهرة فى ثورتها أن يصدق هذا ولو للحظة واحدة. إن شيئاً ما قد حدث فى الشرق الذى كان نائماً لفترة طويلة.

أثرت العواطف العظيمة على أصغر القلوب بين الشعب. إنه بعث حميمى للحياة سال فى أوردة وعروق مصر القديمة^(١٣). وفى مقالة أخرى ظهرت فى ٢٦ يونيو تصف المظاهرات تقول: «كانت مصر غاصة باضطراب مفرح وبرىء للوعى الوطنى... صعدت سيدات من طبقة اجتماعية تحت الصفر فى عربات كانت تسير إلى جانب السيارات الأنيقة لفتيات ونساء محجبات من حرمك الأمراء، والباشوات والبهوات».

فلم تكن مصر أبداً عبر الماضى ديمقراطية إلا فى هذا اليوم العظيم؛

(١٣) الشىء نفسه كان يقوله جورنال دى كير (جريدة القاهرة) فى ١٠ أبريل: «لم نعد ننكر أن الأحداث التى شاهدناها باستغراب تكشف عما لحق بعقل الشعب المصرى ونفسه من تغير عميق».

فالعيد (الفرحة فى الشارع المصرى) كان قد وضع خطأ فاصلاً فى الحياة الوطنية؛ فبداية من البيت الملكى وحتى الفلاحين والبدو، كان الجميع يهتف: "يحيا الوطن!"

شاهدت بعد ظهر اليوم الأول رجالاً يدفعون بطول الطريق عربتى نقل محملتين بالحجارة، وكانوا مبعثاً للتعليق، لأنهم كانوا يعملون بينما كان كل منهم يحتفل بالمناسبة. فبينما كانوا يعانون من تعب العمل كانوا يغنون: "يحيا الوطن!"

كان ينبغى انتظار اليوم الثانى (٩ أبريل) لكى نرى مشهدين هما الأكثر تعبيراً عن هذا.

تمثل المشهد الأول فى ظهور نساء المجتمع الراقى وهن راكبات للعربات والسيارات. أغلبهن كن يحملن أعلاماً مصرية أو أوشحة أكثر وطنية.

والثانى فى عديد من الأمهات ألبسن أطفالهن العلم المصرى.

هؤلاء النسوة كن يقمن بأكثر من الهتاف لمصر، وللحرية، ولسعد زغلول، ولأمريكا، وللسيد ويلسون Wilson، ولفرنسا، ولمؤتمر السلام. فكن يملن بلا توقف خارج السيارات ويعطين الإشارة للهتافات الصارخة للجمهور^(١٤). وكن يقفن فى بعض الأحيان ويلقن خطاباً وطنية كانت تستقبل دائماً بهتاف: "تحيا المرأة!". أصبحت هذه الصيحة جزءاً من (الكورس) العام للجمهور.

كان هذا اليوم يوماً لتحرر المرأة. لو أن الأمريكيات أو الإنجليزيات سرن وألقن بخطب، فإن هذا لن يجذب انتباه أحد؛ ولكنه الشرق، القلعة

(١٤) كانت جريدة الإليستراسيون Illustration تقول فى المقالة سالفه الذكر «كانت هناك نساء مصرية يصعدن على مقاعد السيارات، ويقمن بإثارة الحماس نحو إجلال الوطن والحرية».

الحقيقية لسجن وتبعية النساء. هذا اليوم العظيم هو الذى وضع النساء من كل الطبقات فى المقدمة باعتبارهن محرضات على الوطنية وقائدات للرجال. لقد أعطى هذا وحده للمناسبة طابعاً ثورياً.

ويكمن فى البعد الثانى الانتشار المستمر للأعلام والبيارق التى تحمل الصليب والهلال. وكان الهلال والصليب لأكثر من ألف عام رمزين للتنافر*.

فكل كيلو متر مربع تقريباً فى الشرق الأوسط شهد صداماً دمويّاً فيما بينهما. وقد اعتبر عداؤهما المشترك عاملاً دائماً فى كل الحركات السياسية والاجتماعية فى الشرق.

ومهما بدا هذا الأمر عجباً إلا أننا كنا نلاحظ علمين كبيرين يحملان الصليب والهلال.

وكان بديهياً أن هناك اتفاقات متنوعة، ولكن مهما كان الشكل، فقد كان الجمهور يصفق فى كل مرة عندما كان يركب قس مسيحى وحاخام يهودى وأحد العلماء المسلمين جنباً إلى جنب فى السيارة نفسها.

إن الوحدة الوطنية السامية كانت هى المحرك لموكب اليوم الثانى.

وشهدت كل المدن المصرية الأخرى أحداثاً مشابهة حيث بزغت الوطنية المصرية فى وضوح النهار. فعلى سبيل المثال، فى الإسكندرية بالقرب من القنصلية الأمريكية اندفع المتظاهرون فى صفوف من عشرة أشخاص، وهم يحملون على رؤوسهم علم كل مجموعة، فى مظاهرة حماسية يصعب وصفها.

«كان المتظاهرون وهم مكونون من رجال القضاء، والمحامين،

* هذا القول مبالغ فيه. (المراجعة اللغوية)

والموظفين من كل إدارات الدولة، والأطباء، والتجار، والملاك، والعمال... إلخ، يهتفون على فترات متقطعة: "تحيا فرنسا! تحيا أمريكا! تحيا إيطاليا! تحيا مصر وضيوفنا الأجانب!"

وبعد أن لفَّ موكب ثانٍ شوارع الأحياء الرئيسية في المدينة وكانت الأعلام والموسيقى في المقدمة على وقع موسيقى المارشات والأغاني الشعبية توقف الموكب بشارع توفيق، حيث أخذ الخطباء هنا أيضا الكلمة، وأخذوا يطالبون بالهدوء ويلحون على ألا يثار قلق الأوربيين. لقد كانوا يقولون إن من سيثير أقل حادثة سوف لا يعتبرونه مصريًا صالحًا.

جورنال دى كير Journal du Caire، ٩ أبريل

ولحماية المصالح الأوربية، ومنع إنجلترا من الصيد في الماء العكر، نضيف أن الثوريين قد نظموا شرطة بلدية مكونة من متطوعين، وضعوا على ملابسهم وشاحًا خاصًا. وهكذا تمت حماية معامل السكر الفرنسية بالحوامدية القريبة من القاهرة، وكل المصالح الأجنبية من كل أذى أيا كان مصدره.

وفيما يتصل بمظاهرات الإسكندرية فقد قال أيضا جورنال دى كير فى ١١ أبريل: «الأربعاء صباحًا، اجتمع بمسجد النبي دانيال أعضاء المكتب البلدى، ورجال القضاء، وموظفو القضاء والإدارات الحكومية... إلخ، حيث تشكل الموكب. ومثلت كل طبقات السكان المحليين فى المظاهرة وهُتِف بحرارة على طول الطريق بحياة فرنسا، وإيطاليا، والولايات المتحدة، وكان الأوربيون يردون بالتصفيق من شرفاتهم ونوافذهم».

وبعد أن مروا أمام قنصليات الولايات المتحدة، وفرنسا، وإيطاليا توقفوا، ودخل هذا الجمهور الضخم إلى الكنيسة القبطية. «وعندما وصل المتظاهرون إلى ميدان محمد على ظهرت نساء المجتمع المصرى الراقى فى شرفات ونوافذ عمارة نعمت هاتم، وألقين

بالورود على المتظاهرين. كما وقفت نساء مصريات أخريات في شرفات منزل آخر، وعندما مرّ الموكب أخذن يهتفن بنفس الهتافات الوطنية، كما أمطرن المتظاهرين بالزهور». إننا عندما نقرأ عن هذه الأمور، نشعر حقاً أننا في باريس أو في روما في يوم احتفال وطني. ولنكرر اليوم أكثر من أي وقت مضى عبارة الخديوى إسماعيل الشهيرة: «لم تعد بلادى فى أفريقيا، نحن جزء من أوربا». إنن لم يعد هناك مجال للدهشة من أن الأوروبيين قد اشتركوا في المظاهرات. «إذ كان هناك بين من تم إلقاء القبض عليهم أثناءها بعض الأوروبيين. وتم الإفراج عنهم بناء على أوامر القائد العام؛ ولكن قبل ذلك حذرهم قائد الشرطة بالامتناع عن المشاركة في المظاهرات».

جورنال دى كير، ١٩ مارس

ولكى يبدى اليونانيون تعاطفهم مع مصر، اجتمعوا بميدان الأوبرا وساروا بعدئذ في شوارع القاهرة يهتفون لمصر والمصريين.

وأكثر من ذلك، فعندما استقبل القنصل اليونانى وفداً من الأعيان المصريين الذين كانوا يودون الإعراب له عن تعازيهم فى موت رعايا يونانيين اشتركوا فى المظاهرات، قام بإلقاء خطبة استمرت ساعة ونصفاً، حيث قال: «إننا نقدم هؤلاء الموتى تضحية على مذبح حريتكم». وقال جورنال دى كير فى ١٥ مارس حول هذا الموضوع: «لا فى القاهرة، ولا فى الإسكندرية، ولا فى أى مدينة أخرى فى مصر، لم يشر إلى أى استفزاز فى مواجهة الأوروبيين على العكس فقد رأينا عدداً كبيراً منهم يسير فى المظاهرات لمجرد المجاملة». «والمجاملة هنا إنما تعنى تعاطفاً وإعجاباً» مثل باريس فى الثورة الفرنسية، فالإنجليز، والألمان، والنمساويون، والإيطاليون كانوا يحضرون الجلسات الأولى لجماعة وكلاء المملكة*

* بدأت الثورة الفرنسية بالفعل عندما تم استدعاء ممثلى الأمة من وكلاء المملكة الذين كانوا يمثلون الأنظمة الثلاثة (النبلاء، والكنيسة، وعامة الشعب). (المترجمان)

بحماسة ملؤها الاحترام وذلك فى ليلة ٤ أغسطس*، وفى عيد الاتحاد**...
وكانت المظاهرات المصرية وليدة الإرادة والوحدة الوطنيتين، وتعبّر عن
أسس جديدة للإنسانية (فيكتور مرجريت: صوت مصر) (La voix de l' Egypte).

إن الإمبرياليين الذين يحاولون عمدا تشويه روعة ثورتنا متهمين إيانا
مرة بعد أخرى بالتعصب وبكراهية الأجانب، يمكنهم الاستمرار فى نفي ما
هو بديهي. إن قضيتنا عادلة ولا يمكن أن يخنقها أحد. إلا أن المشهد الناطق
لهذه الثورة — ولنؤكد على هذا مرة أخرى — كان مشهد الوحدة المقدسة بين
كل الطبقات دون تمييز فى الأعمار، والعقائد، والأجناس وها هى مرة أخرى
بعض التفاصيل التى تحمل فى طياتها كثيرا من المعانى: لقد قام سائقو
ومحصلو الترام بإضراب استمر اثنين وخمسين يوماً، وهم ممن لا يملكون
دخولاً أخرى غير رواتبهم من عملهم. ولكى يستطيعوا العيش طوال هذه
الفترة وهم مستمرين فى إضرابهم فقد اكتفوا بوجبة واحدة فى اليوم بدلا من
ثلاث.

وأحيانا كانت الوجبة الواحدة تتحول لوجبة جماعية. وأكثر من ذلك،
كنا نشاهد عديداً من الفلاحات فى الضواحي، يأتين للقاهرة بسلال كبيرة مليئة
بالخبز ليقدموها بلا مقابل للمضربين. وأغلق التجار المصريون والأجانب
محلاتهم وحوانيتهم خلال خمسة عشر يوماً؛ ثم فتحوها ليعيدوا إغلاقها
مرتين أسبوعياً. ليس هذا كل شيء، فقد تبرعوا بـ ٢٠% من أرباحهم
لمساعدة عائلات الضحايا.

وعلىنا أن نضيف أنه بالرغم من حالة الطوارئ والرقابة، فإن جريدة
تسمى L'indépendance (الاستقلال) كانت توزع يومياً فى

* وهى الليلة التى تم فيها إلغاء الامتيازات الاجتماعية بفرنسا. (المترجمان)
** وهو اليوم الذى اعترف فيه الملك بالدستور فى بلاده (المترجمان).

القاهرة، وهى جريدة لم تكن نعلم مصدرها ولا مديرها، كذلك كانت توزع منشورات بالفرنسية والإنجليزية بهدف إيضاح الطابع الحقيقى للثورة لدى الأوربيين والجنود البريطانيين والأستراليين؛ وكان كثيرون من هؤلاء (الأستراليين) يظهرون أخوتهم للثائرين المصريين، ولكن ينبغى ألا ننسى أن هذه الثورة الوطنية كانت أيضاً ثورة ليبرالية. إن الفكرة الديموقراطية، بكل أشكالها الأكثر حداثة، كانت قد أخذت طريقها فى كل أرجاء مصر. وهكذا أعلنت الجمهورية فى إقليمى المنيا، وزفتى وفى عديد من المدن الأخرى. ففى المنيا ذهب وفد شعبى لدى المدير (المحافظ) وأجبروه على أن يتخذ قراراته منذ هذه اللحظة باسم الشعب، وليس باسم الحكومة. إضافة إلى ذلك، وُضع على رأس الجمهورية رئيساً^(١٥)، وإلى جانب كل قاضٍ جلس محلف، وهو ما أسميناه «حكومة الشعب»، ووصفه الإنجليز بالحكومة البلشفية، لكى ينزعوا المصادقية عن ثورتنا، التى كرست من خلال ذلك مبدأ السيادة الشعبية. هكذا، كما نرى، ثمة جلال لهذه الثورة. ولكن بدلا من الإقرار بهذه البديهة وإعطاء مصر استقلالها السليب، حاولت الحكومة الإنجليزية أولا وبكل الوسائل المراوغة التى تملكها التقليل من أهمية الثورة. ولم تتوقف الجرائد الإمبريالية لحظة واحدة عن توجيه سهامها المسمومة إلينا وذلك من قبيل التايمز (Times)، ولوتان (Le temps) وجرائد أخرى تحذو حذوهما، رغم ما كابدوه من تكذيب الأحداث لهم. «فى البداية كانت تقول الصحف إن من شاركوا فى الحركة كانوا زمرة ضئيلة، وأن الأغلبية مع الإنجليز، وفى كل مرة كانت طبقة ما تعبر عن مشاعرنا الحقيقية، كانت الصحافة تقول إن الأمة تقف معنا» (أى مع الإنجليز).

وعندما بدأت الحركة، كانت الصحافة تقول: لا تود غالبية الطبقة المتعلمة معرفة شىء عن هذا الأمر. وعندما تنثور تلك الطبقة بدورها ضد

(١٥) كان الدكتور محمود عبد الرازق، وهو الذى أدانته أخيرا المحكمة العسكرية، وحُكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.

الإنجليز، كانت الصحافة تقول: إن الفلاحين يقفون معنا، وعندما يعبر الفلاحون عن مشاعرهم كانت تقول: إن الموظفين الحكوميين أوفياء لنا؛ وعندما أضرب الموظفون وألقى جميع من بمصر بأنفسهم في خضم الحركة، كانت الصحافة تقول: «الهدوء يسود السودان».

مقابلة مع سعادة سعد زغلول باشا

ديلى هيرالد Daily Herald، ١٩ يونيو

ولكن عندما بدأت الحقيقة تتضح حول عمق الحركة، انتهى الإنجليز إلى القول إن ثورتنا قامت بتحريض من طرف الأتراك والألمان! ومن المفيد هنا أن نذكر كلمة صحيفة الناشيونال نيوز National News فى ١٨ مايو إذ تقول: «قدم سعد زغلول مطالبه، وتم نفيه. استقال رشدى، واندلعت الثورة. إن ما كان يمثل السلام والوفاء، فى (١٩١٥)، وسط النجاحات التركية قد انقلب إلى تمرد عام، فى (١٩١٩)، عندما ذهبت الإمبراطورية التركية أدراج الرياح وكل فرد فى الشرق يعلم هذا».

وقد حرصت الصحف الأخرى بشدة على إثبات اتهاماتها الدنيئة بذكر بعض التفاصيل، إلا أنه إذا كانت مواقف الصحف المتواطئة مع إنجلترا تعتبر شيئاً خطيراً، فإن ما هو أخطر كان سلوك الجنود البريطانيين فى مصر. لقد اقترفت القوات الإنجليزية بالفعل فى هذا البلد أعمالاً لا يمكن أن تشرف القضية الإنجليزية، بل على العكس تنال من شرفها، هذا إذا غضضنا الطرف عن ذلك المثل الأعلى الذى مات من أجله آلاف من البشر. لقد قتل الجنود البريطانيون بخسة المتظاهرين المسالمين والمجردين من السلاح، حتى أثناء المظاهرات العارمة بالفرحة والتى أثارها إطلاق سراح المنفيين. ولم ترحم مدافعهم ورشاشاتهم النساء والأطفال.

لقد وجه الضباط الإيطاليون بالقاهرة مذكرة احتجاج إلى المارشال ألبنى ضد الأعمال الوحشية التى شاهدها، إلا أن المارشال، ورغم هذه الشهادة الدامغة، قرر إيقاف التحقيق الذى بدأ.

ونحن سعداء بأن نقدم هنا أيضاً شهادة حاسمة للدكتور إيليس Dr. Ellis: فجأة، وفي خلال ساعة، تحولت سعادة الفرح غير المسبوق في القاهرة إلى مجموعة رعاع شرسة وحاقدة من الرجال والنساء مصممين على الانتقام بقسوة.

عندما رأى المشاهدون من الإنجليز تلك الأفراح البريئة لأمة منتشية بالفرح بعد أن حصلت بأيدي المعتمد السامي البريطاني على منحة كانت تعتقد بأنها حق لها، وجّه هؤلاء المشاهدون الإنجليز علانية نظرات الغضب والكلمات الجارحة، ويستطيع أى إنسان أن يدرك مدى رغبتهم فى توجيه مدافعهم نحو المتظاهرين.

لقد سمعت عشرات المرات فى فناء الفندقين الأوربيين الكبيرين وفى أماكن أخرى، من يعبر عن الفكرة نفسها التى لم تكن جديدة: «وددت توجيه المدافع ضدهم». وكانت النساء مثل الجنود تماماً، يغذون هذه الفكرة الدموية.

إن هذا الجمهور السعيد والذى لا يخفى فرحته قد وصفوه دوماً بالحيوانات والخنازير والقروود كما نعتوه بأنه لا يستحق الحياة.

«أخيراً، وعندما ترتفع حدة التوتر فى صفوف الجنود الإنجليز، يغيرون وينساقون إلى أعمال عدائية تسفر عن مذابح جديدة، مما يحيل العيد السعيد إلى ساحة عنف».

لقد رأيت جنوداً يمزقون العلم المصرى إرباً، ويدوسونه قصداً بأقدامهم. «ويقولون هذا تذكار». وبدأ عصر جديد من الرعب...

«وفى هذا المساء سمعت فتاة شابة وفاتنة تقول بفرح لرفيق لها بأن ضابطاً شاباً كانت تعرفه «تصيد» أربعة «جيبسى» (من الغجر) بعد ظهر هذا اليوم»^(١٦).

نيويورك هيرالد New York Herald، ٢٢ يونيو

(١٦) الحقيقة أن السلطات العسكرية الإنجليزية أعدت نوعاً من اصطيات الإنسان، إنه اضطهاد حقيقى.

هذا السلوك الجبان كان هو القشة التي قصمت ظهر البعير، لقد لجأ المتظاهرون المجردون من السلاح، والذين تملأهم الشجاعة، والتضحية والثورة إلى انتزاع بعض البنادق بسرعة من رجال الشرطة وجمع الحجارة من أجل إقامة سواتر للدفاع عن أنفسهم في مواجهة الرشاشات الإنجليزية. وذلك لكي يستطيعوا داخل أفقهم الوطني الرائع إفشال القوة العسكرية الهائلة لبعض الوقت، تلك القوة التي أرسلتها إنجلترا لتجعل منها أداة للهيمنة.

وفي الثاني عشر من أبريل نشرت صحيفة لوماتان La Matin البرقية التالية في الصفحة الأولى وتحت هذا العنوان:

ثورة مصر

الاضطرابات الشعبية في القاهرة والإسكندرية وبورسعيد
إن الموقف خطير في مصر، فالحركة الوطنية تنتصر، والسلطات البريطانية تجاوزها الحدث.

خلال أيام انتشرت الاضطرابات في المراكز الكبرى، خاصة في القاهرة وفي الإسكندرية وفي بورسعيد.

«يد سوداء» تبذر الرعب، فقد أشير كثيرا إلى وفيات غامضة، ووجد جنود موتى في أماكن عملهم، كما خطفت ممرضات إنجليزيات.

«طالب الثائرون برحيل الموظفين الأوروبيين، وبجلاء الإنجليز وبتأسيس إمبراطورية إسلامية على رأسها خليفة في القاهرة»

ولن نكون في حاجة لرفض الفكرة الخيالية الأخيرة التي اختتمت بها هذه البرقية؛ إلا أننا سنشير مع ذلك، إلى أن الشعب المصري إذا ما كانت في حوزته أسلحة، خلال انطلاقته التي لا تقهر، فلا شك في أنه كان سيلقى في البحر بهؤلاء المجرمين الدخلاء الذين يحتمون خلف آلائهم العسكرية.

لقد أغرق الإنجليز البلاد كلها في النار والدم، بذروا الحداد والخراب في كل مكان، حرقوا قرانا، ودمروا ريفنا.

(من فظائع الاحتلال الإنجليزي)*

بعد الأتراك مر الإنجليز من هنا...**

وإليك نص أحد المحاضر العديدة التي تحكى عن فظائع الإنجليز
وتظلمات الضحايا:

محضر

**الجلسة غير العادية التي عقدها المجلس المحلى بالجيزة
فى أبريل ١٩١٩**

افتتحت الجلسة الساعة ١١,٣٠ صباحا، بمقر المديرية، تحت رئاسة
صاحب السعادة أحمد حمدى بك سيف النصر مدير الجيزة ورئيس المجلس
المحلى، وبحضور السادة الأعضاء فاضل الزمر بك، وعبد الواحد القط بك،
وبيومى مذكور أفندى، وسيد دويدار أفندى، ومحمد منصور عطا الله أفندى،
وأمين فهمى أحمد أفندى سكرتيرا. وقد اعتذر عن عدم الحضور سعد بك
محرم. ويستهل معالى الرئيس الجلسة بهذه العبارات:

«أيها السادة،

بناءً على طلب كل من فاضل الزمر بك، وعبد الواحد القط، وأحمد
المليجى بك وبيومى مذكور أفندى، أعضاء مجلسنا، وطبقا للفقرة الثانية من
المادة ٤٩ من القانون المنظم لاجتماعات المجلس فقد طلبوا عقد جلسة غير
عادية.

ووجهنا إليكم الدعوة للبت فيما سيقومون بعرضه عليكم».

* هذا العنوان من إضافتنا. (المراجعة اللغوية)

** يستخدم الكاتب هنا عبارة فكتور هوجو فى قصيدته «الشرقيات»، والتي قال فيها:
«الأتراك مروا من هنا، فتحول كل شيء إلى خراب وحداد...». وهى العبارة التى
كان يصف بها هوجو ما حدث فى حرب الاستقلال اليونانية، ويستعيرها الكاتب هنا
لوصف ما قام به الإنجليز فى مصر. (المترجمان)

يأخذ الكلمة أحمد المليجي بك ويقول:

سيدي الرئيس،

السادة الأعضاء،

... إن الأحداث الأخيرة والمعروفة لنا جميعا كان سببها أن الشعب يعبر عن شعوره الوطني.

لقد أراد البعض ببساطة أن يُسمعوا صوته، فاعتقدوا أنهم يعبرون عن مشاعرهم بكسرهم قضبان السكك الحديدية.

إلا أن التدمير قد توقف منذ إعلان الجنرال الذي هدد بفرض عقوبات رادعة^(١٧). ولكن ألا توجد في التشريعات الإلهية والوضعية، عقوبات أخرى غير عقوبات مصادرة الأموال، وحرق المنازل، والسرقة، كذلك التي طبقت على شعبنا الذي اشتكى رسمياً إلى المديرية؟...

وأمر بقراءة العريضة بالجلسة. وها هو نصها:

«وجه لنا بعض سكان مديرتنا، باعتبارنا مندوبي الأمة، شكاوى تخص الفضائع التي ارتكبت، ضد كل مبدأ إنساني، وتجبرنا ما تمثله مواقفنا على دراستها ومخاطبة السلطات المسئولة.

فقد ارتكبت وحدات بريطانية في وضح النهار وأثناء الليل تعديات بحق القرى... ونحن نطلب أن ترفع عريضتنا لجلالة السلطان، وإلى مختلف الأجهزة الرسمية بمصر، مقرونا بها آمياتنا في استقلال مصر التام، وأملنا في إلغاء كل ما يعوق هذا الهدف الوطني».

ويأخذ صاحب السعادة الرئيس الكلمة.

«قررت سادتي أن أعترض بلا هوادة، حتى لو فقدت موقعي وراحتي».

(١٧) إنه إعلان القائد العام للقوات البريطانية، الذي هدد بأن السلطات العسكرية ستقوم بحرق القرى المجاورة لخطوط السكك الحديدية في حالة تعرضها للتخريب (١٨ مارس).

وتمنى أحمد المليجي بك أن يرى قريبا تكذيبا لحكاية البيان الرسمي الشهير.

وأعلن محمد منصور عطا الله أفندي:

«وجد الأهالي بعد يومين من أحداث نزلة الشوبك جنث الضحايا ملقاة في حقول القمح أو على سطح ماء القنوات...»

وأعلن فاضل بك الزمر أنه في ليلة الأحداث، وبينما كان ينقل القطار الجماهير الفرحة برحيل وفدها إلى أوربا، أطلق بعض الإنجليز النار عليهم، وقتل شخصان. واستنكر بشدة تلك الجرائم البشعة التي تتكرر باستمرار. واستنكر عبد الواحد القط بك القبض على أهالي نزلة الشوبك والتمس من السيد الرئيس التدخل لإطلاق سراحهم، أخذا بالاعتبار أن ستة منهم قد قُتلهم القوات البريطانية رميا بالرصاص. كما استنكر أيضا الطريقة التي اعتمدت بها ميزانية (١٩١٩ - ١٩٢٠) رغم غياب أحد الوزراء خلال عدة أشهر^(١٨).

وقد قرر المجلس بالإجماع وبعد المداولة، وطبقا للمادة ٣٦ من القانون الأساسي تبني كل الشكاوى المصاغة في المحضر وإيلاغ المحتوى لجلالة السلطان والأجهزة الرسمية في مصر.

تمت قراءة المحضر وتم اعتماده بالإجماع في الجلسة نفسها.

أ. ف. أحمد	سيف النصر
سكرتير المجلس	مدير الجيزة
	ورئيس المجلس المحلي

وإليك التماسا آخر، وجهه مواطنو نزلة الشوبك (العياط) إلى السادة أعضاء المجلس المحلي بالجيزة:

أيها السادة،

(١٨) إنه الجنرال النبي الذي أخذ المبادرة، أثناء غياب الوزارة، ليحدد ميزانية سنة (١٩١٩).

وصل الإنجليز لدينا فى ٣٠ مارس (١٩١٩) الساعة الثالثة بعد الظهر على متن قطار مصفح.

ونزل جزء من جنودهم المسلحين بالبنادق. وخوفاً من أن يحدثوا بنا ضرراً، لم نتصدَّ لأى من أفعالهم. إلا أنهم لم يكتفوا بالسرقة، بل تجاوزوا ذلك لاغتصاب نساءنا.

تصوروا أيها السادة الأعضاء امرأة وهى تُغتصب وتستجد بزوجهما فتراه يُقتل بلا رحمة، تصوروا حينئذ القرية التى يحاصرها الجنود الإنجليز الذين أشعلوا النار فى كل مكان فيها، وأطلقوا النار على كل من حاول الهروب من الحريق، تصوروا هذه المذبحة الرهيبة وهذه الجرائم الفظيعة التى استمرت ليلة بأكملها حتى صباح اليوم التالى.

أى ضمير هذا الذى لا يثور عندما يعلم أن الإنجليز قد أتوا بشيخ القرية وشقيقه وابنه واثنين آخرين من الفلاحين بحجة مفاوضاتهم، فإذا بهم يدفنونهم حتى الصدر، ويطلقون عليهم النار، ويشوهون وجوههم فيما بعد بأسناك بنادقهم!

السادة النواب المحترمين،

استمر الحريق حتى ظهر اليوم التالى وتهدم ١٤٤ منزلاً (القرية كلها لم يكن بها سوى ٢٠٠ منزل)، وقتل ٢١ فرداً، وجرح اثنان، وحرق عدد كبير من الماشية، إضافة إلى سرقة الأموال والحلى، وتدمير الملابس والأثاث.

"كونوا إذن شهداء على مصائبنا أمام الله وأمام الضمير وأمام العدل".

فى ٧ أبريل (١٩١٩)

محمد أحمد جمعة،

عبد اللطيف أبو المجد،

عبد الحليم أبو طلبة

وفى نفس هذه القرية، نزلة الشوبك، قتل الجنود الإنجليز طفلاً فى السنة الأولى من عمره واغتصبوا عدداً من النساء. «يقول أحد الأهالى، لقد تحملنا كل شىء، إلا أننا لا نستطيع رؤية نساءنا تُغتصب. إن ذلك لا يمكن تحمله».

وحرق الجنود الإنجليز أيضاً قرى العزيزية، والبدرشين، وشبنات. ودخلوا كفر مسعد وكفر الحجة، واستدعوا الذكور من الأهالى وحكموا بجلدهم على بطونهم وظهورهم. ما هى التهمة؟ لقد كانت طلقة نار أُطلقت على دورية بريطانية وهى تمر قريباً من هذه القرى. بالتأكيد كان نيرون أقل قسوة!

وإضافة إلى ذلك، حُرقت النساء وهن أحياء فى منازلهن؛ وجُلد أعيان وفلاحون وطلاب بعد أن دُفِنوا حتى وسطهم. وأمام هذا التفنن فى القسوة استقال عُمد مديرية الغربية بشكل جماعى لكى «لا يخدموا — كما قالوا — حكومة كهذه». وقد فعل الشىء نفسه مدير الجيزة، وأغلب عُمد المنوفية.

وقد أعلن السيد هارمسورث Harmsworth وكيل وزارة الشئون الخارجية فى ٢٥ يوليو بمجلس العموم محصلة القمع:

تكبد الجيش الإنجليزى ٢٩ قتيلاً و ١١٤ جريحاً، والشعب المصرى ٨٠٠ قتيلاً و ١٦٠٠ جريحاً وينبغى ملاحظة أن المحصلة هنا هى للضحايا الذين سقطوا فحسب خلال المرحلة الأولى للثورة.

تُرى ما هو التعليق على قرار السلطات العسكرية الذى نص على أن كل مصرى أيا كان موقعه الاجتماعى، عليه تحية الضباط الإنجليز أثناء مرورهم، وإلا سيكون معرضاً لدفع غرامة كبيرة ويقع تحت طائلة قانون الأحكام العرفية؟

لقد ترك العمل كل من القضاة وأعضاء النيابة وموظفين آخرين بمحكمة قنا، لكى، «يحفظوا كرامتهم — كما قالوا فى التماس وجهوه إلى

رئيس المحكمة - وكانوا قد اقتنعوا بأنهم مجبرون على ألا يتركوا منازلهم». وفي خلال محادثة تمت بين رئيس المحكمة والقائد البريطاني اقترح الأخير أن على الضباط الإنجليز أن يبدعوا بتحية كبار الموظفين وأن على هؤلاء رد التحية ؛ ولكن يبقى الأمر على ما هو عليه بالنسبة للطبقات الشعبية الأخرى. ويقول رئيس المحكمة بدوره «إن هذا الحل قد أُرسِل بخطاب إلى الوزارة، إلا أنه قد رُفِض بالإجماع لأنه كان من الممكن أن يخلق تمييزاً بين شريحة صغيرة وغالبية الأمة الواحدة التي لا تتجزأ».

وإذا ما كانت الثورة تمثل حصيلة عدم الرضا، فمن الأوفق أن نشير هنا إلى أن واحداً من الأسباب الجدية لعدم رضا المصريين إنما كان تحديداً ازدراءهم خاصة تحت الحماية، من قبل الموظفين والجنود الإنجليز.

فهؤلاء يملؤهم الزهو ؛ لاعتقائهم في تفوق العرق الإنجلوسكسوني، ولا يريدون أبداً الإحساس بمشاعر الأجناس التي يحكمونها ويحتقرونها.

إن المصريين، الذين يمكنهم أن يستمدوا أسباباً مشروعة للفخر والتمرد على الحاضر، لا يمكنهم التواءم مع تلك المعاملة. المتمثلة في هذا العقل المتكبر الذي أضيف إلى طبيعة شديدة القسوة، وهو ما يفسر جزئياً السلوك الخالي من الرحمة للجنود والضباط الإنجليز أثناء قمعهم.

وهناك واقعة تفسر ما تبقى: لقد جعلت الحكومة الإنجليزية من الإرهاب نظاماً، لهدف بديهي وهو إنهاء الثورة في الدماء؛ إنه نظام جعل الفظائع التي ارتكبت على نطاق واسع، إذ لم تكن بفعل جنود منعزلين، ولكن بفعل فصائل بأكملها، وبأوامر من ضباطها، إنه نظام جاء رسمياً بفعل تشكيل المحاكم العسكرية، وإليكم تبعاً للنقارير الرسمية التي نشرتها الجرائد نموذجاً من هذه الأحكام:

نقرأ بجريدة «وادي النيل» بتاريخ ١٠ يونيو ١٩١٩، البلاغ الرسمي التالي الذي نشرته السلطات العسكرية البريطانية بمصر:

فاقوس: الأحداث التي وقعت في ١٥ إلى ٢١ مارس: حُكم على سليمان بك بالإعدام مع ستة من أصدقائه لأنهم قاموا بفك خطوط السكك الحديدية بالمحطة، وكان جميعهم من أعيان مدينة فاقوس. إلا أن الجنرال الإنجليزي للوحدة ٢٣ قد خفف الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة للأول وأربعة عشر عاما للآخرين.

أسيوط: حُكم على مصطفى فيروز بـ ٤٠ جلدة، وثمانية أعوام من الأشغال الشاقة لقيادته للمتظاهرين يوم ٢٣ مايو.

أبو قرقاص: حُكم على علي محمد أديس وهو أستاذ مبرّز، بالأشغال الشاقة المؤبدة لأنه ألقى خطابا يوم ١٦ مايو.

المنصورة: حُكم على عبد العليم إبراهيم عمدة المنصورة (ثالث أكبر مدينة في مصر) بخمس سنوات أشغال شاقة وتغريمه ٢٥٠٠ فرنك وذلك لأنه صرح بالتظاهر بين ١٥ و ٢٠ مايو.

وحُكم على مائتين من أهالي هذه المدينة بالسجن من سنتين إلى ثلاث سنوات. وإجمالا كانت هناك أحكام خمسمائة وسبعين عاما من السجن قد وُزعت في جلسة واحدة.

الإسكندرية: حُكم على رئيس وسكرتير جمعية العاملين بالإسكندرية بسنتين وتغريمهما ٢٥٠٠ فرنك.

القاهرة: حُكم على أحمد عاشور بالإعدام شنقا لتنظيمه مظاهرة لرجال الشرطة، وحُكم على أحمد مصطفى بخمس سنوات أشغال شاقة لجمعه أموالا في الفترة من ١١ إلى ٢٠ أبريل لصالح جماعة «اليد السوداء» الثورية، كما حُكم على علي رفعت المزاني بخمس سنوات أشغال شاقة وذلك لإلقاءه خطبة تحدث فيها عن الحرية والاستقلال.

طنطا: حُكم على خمسة أشخاص بسبع سنوات أشغال شاقة وجلدهم بخمسة عشر سوطاً، وذلك لأنهم عطلوا حركة القطارات العادية بالتظاهر.

وأعلن مكتب الصحافة البيان التالي:

القاهرة في ١٥ يونيو

بعد إنهاء القاضى العسكرى أكيكوت Akicout التحقيقات، أعلن المجلس العسكرى حكمه على نجيب سرى بخمسة عشرة عاماً أشغالاً شاقة بتهمة الخيانة العظمى وذلك لتنظيمه إحدى المظاهرات^(١٩). ومن حيثيات الحكم أن هذا المصرى كان من واجبه أن يمنع مثل هذه الحركة من الجماهير، لأنه كان محل ثقة مدير الأمن.

الإسكندرية: حكم على مرسال ربحان بخمسة عشر عاماً من الأشغال الشاقة لاتهامه بمحاولة الاعتداء على ضابط إنجليزى. وأفاد الحكم أنه لم يكن لدى المصرى أى سلاح، باستثناء عصا عادية يبلغ قطرها ٨ مم.

وأعلن مكتب الصحافة بالقاهرة في ٢٠ يونيو:

رداً على أعمال الثورة فرضت السلطات العسكرية البريطانية الغرامات التالية:

«على الدلتا مبلغ ١٠٤٠٨ جنيه إسترليني؛ علاوة على مبلغ ٤٨٩٣ جنيه إسترليني كغرامة إضافية. كما فرض على الأقاليم الثلاثة: الجيزة، وبنى سويف والفيوم مبلغ ٤١٠٢٠ جنيه إسترليني. وفرض على المراكز فيما بين بنى سويف، وأبو تيج مبلغ ١٢٨٠٣٤ جنيه إسترليني بإجمالى ١٨٤٣٥٠ جنيه إسترليني.

بلاغ رسمى من المجلس العسكرى بخصوص أحداث ديروط.

فُتحت التحقيقات في ١٧ مايو ضد الثوار من هذه البلدة وأُغلقت في ١٩ يونيو.

(١٩) الخيانة ضد من؟ هل هي ضد إنجلترا؟ نستطيع أن نؤكد أن الديمقراطية العظمى والحليفة قد تجاوزت هنا الحدود.

طالب الدفاع بسماع ١٥٥ شاهداً. وأعلنت المحكمة ٥١ حكماً بالإعدام شنقاً و ٥ بالسجن.

عزل وزير داخلية مصر عُمد القرى الذين شاركوا فى الحركات الثورية.

وتبدأ القائمة بعُمد شبانة، وكيشا، وكفر أباطة، وفارسكور... إلخ.

ولكن هل كل هذا الخواء والحداد استطاع أن يغلب غاية الأمة المصرية أو أن يلقي باليأس فى روحها؟ كلا، لقد أجابت الأحداث على ذلك. وإليك حديثاً لرئيس الوزراء غير الشعبى محمد سعيد، نشرته جريدة لوتان Le Temps بتاريخ ٢١ يوليو:

«لا أجهل أن وزارتى قد هوجمت بعنف. ووجهت لى وزملائى تهديدات مباشرة بشكل يومى، وتعلمون حتى إن طلقات النار قد أُطلقت فى واحدة من هذه الليالى على شرفتى. لقد كانت الفتنة شديدة للغاية ولا يمكن لها أن تهدأ فجأة».

فى غضون ذلك، ألغيت الرقابة فى ٢٣ يونيو، إلا أنه كان على الجرائد الالتزام بالشروط الآتية المذكورة فى المنشور الدورى الطويل الذى وُجه للصحافة:

١- يُمنع نشر مقالات ثورية أو أية مواد يمكن أن تدفع إلى الثورة، سواء بطرق مباشرة أم غير مباشرة...

٢- يُمنع نشر أى مقال يومى بعدم الاعتراف بالوضع السياسى القائم...

٣- يُمنع الإيماء إلى التعليمات الحالية والرقابة المؤقتة التى كانت تمارس فيما قبل هذه التعليمات.

وعلينا أن نرى الآن ما إذا كانت الفتنة الشديدة للغاية سوف تهدأ كما كان يتوقع الوزير سعيد في شهر يونيو. هاهو المراسل الخاص لجريدة لوتان Le Temps يكتب من لندن في ٣ سبتمبر، أى بعد ستة أشهر من اندلاع الثورة: «يبدو أن فتنة ما قد عادت إلى مصر. علم من القاهرة للدليلى ميل Daily Mail أن سعد زغلول باشا رئيس الوفد الوطنى فى باريس قد أبرق إلى القاهرة بأن مجلس الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى كان قد أعلن استقلال مصر.

لقد نُشر هذا النبأ المزعوم فى الحال وكان سببا فى انفعال عظيم.

«وتجددت المظاهرات الأحد فى القاهرة والإسكندرية»

وأبرق مراسل الدليلى إكسبريس Daily Express من جانبه بأن «صوت الصحافة المحلية أصبح أكثر تغطرسا وأن الموقف أصبح من جديد يندرج بالخطر. وأمر الجنود البريطانيون بعدم الخروج من ثكناتهم إلا وهم مسلحون».

وتقول جريدة لاجلوب Le Globe اللندنية فى التاريخ نفسه:

عاد الوطنيون فى مصر من جديد إلى العمل ويسمع صدى الهتاف القديم. «مصر للمصريين!» فى القاهرة.

وفى ٢٣ أكتوبر، تلقت جريدة لوتان Le Temps من لندن البرقية التالية:

«أبرق مراسل جريدة التايمز Times بالقاهرة بأن كل الدلائل تشير إلى مرحلة جديدة من الاضطرابات. حتى إنه قد أُشير إلى عديد من المظاهرات فى الأقاليم، وقد كانت واحدة منها أكثر أهمية من تلك التى حدثت فى الإسكندرية فى ١٧ أكتوبر. وجاب المتظاهرون شوارع المدينة وهم يهتفون «تسقط لجنة ملنر!» «ويحيا الاستقلال» وعلى الرغم من الآلام التى عاناها

الشعب، إلا أن المظاهرات عادت إلى الاندلاع بعفوية الروح الشعبية، وهو دليل قاطع على أنه بدلا من أن تقبل مصر وهي صاغرة هيمنة أجنبية، التجأت لهذه الصيغة المحددة: الاستقلال أو الموت».

«في عام (١٨٨٢) كانت مصر كالطفل في حاجة إلى لسعات السياط لتطيع الأوامر؛ إلا أنها في عام (١٩١٩) كانت قد تمثلت الأفكار الأوروبية، ولم تعد تقبل أن تتلقى لسعات السياط»

ديلى نيوز Daily News، فى ٣٠ أبريل

حتى فى عام ١٨٨٢، أثبتت مصر بثورتها الأولى، أنها لم تكن طفلا وأنها كانت تريد أن تكون سيدة مصيرها. لن نعود هنا لبرلمان الجمهورية لنقول إن هؤلاء الناس غير قادرين على أن يتحرروا وأنه لا توجد لدينا واجبات أخرى تجاههم غير أن نسوسهم «بالكرباج» و «العصا».

خطاب الرئيس كليمنصو Clemenceau

فى ١٩ يوليو ١٨٨٢

ولكن كيف كان مؤتمر السلام وسط كل هذه الأحداث؟ بمجرد وصول وفدنا إلى باريس كان الرئيس ويلسون يعترف بالحماية الإنجليزية المعلنة بشكل غير شرعى على مصر. وفرض المؤتمر على ألمانيا الاعتراف بتلك الحماية^(٢٠) ومن أجل أن تحتفظ إنجلترا بحمايتها كانت مجبرة على أن تحتفظ هناك بمائة وخمسين ألف رجل، والحكم على مصر بعبودية دائمة مما «أجبر مصر، حسب كلمة النائب جود Goude أن تسلك الطريق الوحيد الذى تبقى لها: الثورة».

(٢٠) انظر إلى المادة ١٤٧ من معاهدة فرساي.

وتكتب صحيفة الديلى إكسبريس Daily Express فى ٢٤ مايو:
بوصول المصريين لهذه النتيجة، فإن الوفد الوطنى فى باريس لم يعد قادراً
على تحقيق الآمال العظيمة التى كان يرجوها.

وأضحت الفكرة المهيمنة على ملاحظاتهم هى: «علينا الاعتماد على
أنفسنا».

نعم، إن مصر مثلها مثل إيطاليا بالأمس لا تحتاج أحداً *Fara da se!
فلا المدافع، ولا الرشاشات الإنجليزية، ولا اعتراف الرئيس ويلسون
بالحماية يمكن أن يحيدا بمصر قيد أنملة عن هدفها السامى فى الاستقلال.

إن مصر ستعتمد على نفسها. هذه هى الصيغة التى جعلت المصريين
يبدأون بالرغم من كل العقبات الإنجليزية فى تسطير برنامج واسع للتحرر:
فنظموا مئات النقابات العمالية، وعدداً من الجمعيات التعاونية الزراعية.
«وأسسوا بنكاً وطنياً؛ ويفكرون أيضاً فى إنشاء شركات مصرية للملاحة
البحرية. كما أن الصناعة والزراعة وهما عاملان محرران بامتياز، قد
توسعا بشكل غير متوقع ووجدنا مناصرين كانوا حتى هذه اللحظة مجهولين.
وها هى المصانع والورش تنشأ تقريباً فى كل مكان، وهناك تفكير فى
تصدير ما تخصصت البلاد فى إنتاجه».

صحيفة ليجيبت L'Egypte

فى ١٠ أكتوبر

إن الملامح الأكثر بروزاً لروح مصر الجديدة كانت تتمثل تحديداً فى
الثقة بالنفس وحب التضحية وهما ما كان يميز روح النخبة، وروح شعب
عظيم، ومن خلال هذين الملمحين المهيمنين تبدت هذه الروح الصافية كالماء
الفرات، الخالى من كل الشوائب التى تعلق بقلب الروح الإنسانية. ويبدو أنها

* تعنى هذه الكلمة بالإيطالية — والتى أطلقها الملك فيكتور إيمانويل أحد زعماء
الاتحاد الإيطالى فى وجه النمسا — أن إيطاليا لا تحتاج أحداً. (المترجمان)

لم تعد قادرة إلا على الفضائل؛ ذلك لأن هذه الروح كانت تشرئبب إلى مثل أعلى، جعلها تحقق هذه الدرجة من السمو؛ لقد تطهرت بسموها، وارتقت إلى درجة النبيل. ويمكننا الآن أن نفهم عبارة فلوبير Flaubert: «المثل الأعلى مثله كالشمس يظهر كل أدران الأرض».

وبدلاً من أن تستمع إنجلترا لصوت العقل وتجلو عن البلاد التي ليست Res Nullius أرضاً بلا مالك*، وبدلاً من أن تدشن في مصر عصرًا جديدًا من السلام والحرية أثرت «تدشين عصر من القتل والمذابح لكي تسحق القوى التي كانت تعمل من أجل الاستقلال». (بوراه Borah)

أين ذهبت الالتزامات الرسمية لإنجلترا، وتصريحات رجال دولتها، تلك التصريحات التي أعلنت أكثر من سبعين مرة بين سنوات (١٨٧٣) (٩ سنوات قبل الاحتلال) و (١٩٠٨)؟ وإذا ما كان هذا لا يريحهم، فإننا مع ذلك سوف نذكرهم بتلك التصريحات:

«سوف تذهب إنجلترا إلى مصر بنية صافية، ودون أغراض سرية»
جلاد ستون Gladstone (١٨٨٢).

«لن أضيع وقتي في تكذيب النوايا التي تفترض أن الحكومة تريد بسط الحماية على مصر إلى الأبد. إن هذا بمثابة أن نسبب حشرات مريرة لأحفادنا وكأننا نذهب لنؤسس أيرلندا جديدة في الشرق.»

شامبرلين Chamberlain

١٩ ديسمبر ١٨٨٢

«إن حكومة صاحبة الجلالة، وتمسكاً بالتزاماتها السابقة وبقواعد حقوق الشعوب لا تعتقد أنها تستطيع وضع مصر تحت حمايتها.»

سابيسبري Sapisbury ١٨٨٧

* يستخدم الكاتب هنا العبارة اللاتينية Res Nullius وهي تعنى أرضاً بلا مالك.
(المترجمان)

«لن نستطيع البقاء إلى ما لانهاية في مصر دون أن ننتهك التزاماتنا الأكثر رسمية، وتصبح صورتنا موضع احتقار أوربا» .

السير هنري بانيرمان Sir Henry Bannerman، ١٨٩٤

ولكن عندما نذكر الإنجليز بهذه التصريحات وبمعاهدة لندن التي وقعت عليها إنجلترا يحدّثوننا عن إصلاحاتهم ومهمتهم الحضارية. حسناً إليكم حصيلة سبعة وثلاثين عاماً من الاحتلال الإنجليزي.

ولنتذكر أولاً أن الحضارة ليست بجديدة علينا. فمصر كانت تسير بخطوات عملاقة في طريق التقدم منذ بداية القرن التاسع عشر. وكان محمد علي هو أول من أخذ بيدها في هذا الطريق. ومن بعده «جاء إسماعيل – أحد خلفائه (١٨٦٣ – ١٨٧٩) – فأقام وحقق خطة واسعة من الإصلاحات التي جعلت من مصر «قطعة من أوربا».

ولنتذكر على سبيل المثال، إنشاء متحف المصريات، والمرصد، والجمعيات العلمية، ومدارس البنات... إلخ. حتى إنه وهب مصر برلماناً في عام ١٨٦٦. وفي عام ١٨٦٧ كتبت جريدة التايمز Times تقول إن مصر مثال رائع للتقدم. إنها أنجزت من التقدم في سبعين عاماً، ما كانت قد أنجزته بلدان عديدة في خمسمائة عام». إلا أن إنجلترا لكي تخلط الأمور استغلت إسراف إسماعيل بإقراضه بنسبة فوائد ربوية ولا إنسانية وصلت إلى ٤٠٠% (!) وقد أتاحت هذه الديون لبعض القوى وعلى الأخص لإنجلترا حجة التدخل في الشؤون الداخلية لمصر. واندلعت الثورة الوطنية والليبرالية في عام ١٨٨١-١٨٨٢ بفعل عدم الرضا الذي خلقه التدخل الأجنبي، واستغلت إنجلترا هذا الموقف لتحتل البلاد عسكرياً. وما الذي حدث بعد ذلك؟

ألغى برلماننا، وبالمثل أسطولنا التجاري الذي كانت سفنه تخدم سوريا

واليونان، وتؤمن الخدمة بين القسطنطينية والإسكندرية^(٢١)، وأغلقت مصانعنا ومصانع نسيجنا، وأساطيلنا. وأصبحت مصر خاضعة اقتصاديا للصناعة الإنجليزية.

لقد قال اللورد كرومر Lord Cromer فى أحد تقاريره: «يبدو الاختلاف جلياً لمن ينظر فى الحالة الراهنة بالمقارنة مع الحالة منذ خمسة عشر عاماً. فالشوارع التى كانت تعج بأصحاب الصناعات والمهن: غزالين، ونساجين، وقياطين، وصباغين، وإسكافيين، وصنّاع حلى، وعقادين، ومبيضى نحاس، وصنّاع القرب والمناخل، وسراجين، وحدادين... إلخ، أقيمت على أنقاضها المقاهى والحوانيت التى اكتظت بالبضائع الأوربية!»

إلا أن اللورد كرومر حرص على ألا يشرح سبب احتضار الصناعة المصرية. حسناً! سنأخذ نحن مهمة أن نشرح له ذلك. ففي مجال الصناعة، كما فى كل المجالات الأخرى يكمن السبب فى سياسة الخنق المنظمة: سياسة الاستغلال والعبودية التى تنتهجها إنجلترا. ولناخذ مثالا من ألف مثال، فعندما أنشئت أول شركة نسيج فرض على إنتاجها ضريبة إنتاج تعادل الرسم الجمركى المفروض على السلع المستوردة من إنجلترا، وهو ما أدى إلى خراب المشروع.

وردا على الانتقادات التى أثارها هذا الإجراء فى البلاد قالت التايمز Times: «لا يمكن أن ننتظر من ممثل للمملكة أن يساند مشروعاً يجنى المستهلكون المصريون أرباحه. على حساب أصحاب المصانع الإنجليزية.» ولعل فى تلك الكلمة وحدها وفى حد ذاتها تتطوى إدانة لكل النظام السياسى المفروض من تجار لندن على الشعب المصرى. كما أن الميزانيات التى أهدرت على السودان كلفت مصر فى عشر سنوات أكثر من ١٨ مليون جنيه إسترلينى ولم تكن ببساطة إلا سوقاً بريطانياً. وتم صرف واحد فى المائة فقط

(٢١) تم بيع هذا الأسطول إلى نقابة إنجليزية بسعر ١٥٠.٠٠٠ جنيه إسترلينى، فى الوقت الذى كانت قيمته تقدر بملايين وملايين من الفرنكات. «وتعبيراً عن الرضا العميق للشركة البحرية الجديدة (الدرسون) Alderson قدمت فوراً مبلغ ٢٥.٠٠٠ فرنك لملاجأ البحارة بالإسكندرية. وكان ذلك هو عملهم الإنسانى!» (لوتان Le Temps).

من الدخول على التعليم العام. وما أكثر ما تحدث اللورد كرومر في تقاريره عن ضرورة عدم تنمية التعليم سريعاً، لتفادى تفتق الأفكار شديدة التقدم. ولولا مبادرة الأمة التي أسست بنفسها وعن طريق المساهمات جامعة ومدارس، وأرسلت بالمئات من أبنائها إلى أوربا، لاقتدت البلاد نخبة كافية، قادرة على إدارتها ورفع مستواها الفكري. إن ما قامت به إنجلترا في مصر يدخل في نطاق ما يتسم بالمادية والرفاهية البازخة. لكنها تبدو كواجهة جميلة تخفي باطناً محزناً! ولنتحدث الآن عن «الرخاء الهائل» الذي نشرته إنجلترا في وادي النيل، إنه شيء مثير للسخيرية! نلذك أن ما استهدف التقدم والحضارة في حقيقة الأمر إنما بدأ مع محمد علي واستمر تحت حكم خلفائه، ولم توقفه إنجلترا فحسب، بل إنها عرقلته ودمرته جزئياً. وبالإضافة إلى ذلك فإنه حتى الجرائد الأكثر محافظة لم تستطع خلال الأحداث الأخيرة أن تخفي إفلاس النظام الإنجليزي. «إن السياسة المصرية لم تؤخذ بعين الاعتبار، واكتفى الرأي العام (الإنجليزي) باعتماده على التقارير^(٢٢) المتفائلة التي تخص الرخاء المادي».

جريدة مورنينج بوست Morning Post، ٩ أبريل

وها هو رأي جريدة التايمز الآن بضرورة تغيير كل الإطارات الإدارية من القاعدة للقمة، إذ تقول: «ربما لدينا موظفون بريطانيون في مصر أكثر من الحاجة، وكنا ندير هذا البلد بحماس أكثر أو أقل مما ينبغي».

وقالت مجلة سترداي ريفيو Saturday Review أكثر من ذلك؛ إذ اعترفت بالطابع الوطني للثورة: كان من الرائج في إنجلترا التقليل لأقصى درجة من أهمية الانتفاضة الأخيرة في مصر، عندما قدموها وكأنها تعود إلى طبقة محدودة من «العاطلين» المحبطين الذين يبحثون عن وظائف، ويؤيدهم

(٢٢) يرفع المندوب البريطاني في مصر تقريراً سنوياً للحالة التي عليها الأمور في هذا البلد.

مهيجون غير مسئولين. لقد حان الوقت لكى ندرك أن هذا ليس صحيحًا، إنها ليست انتفاضة «عاطلين».

«لقد كانت ثورة فريدة التنظيم من كل طبقات المجتمع فى مصر؛ المسلمون والأقباط والفلاحون والباشوات والموظفون. إن السبب الذى جعلنا نشدد حراستنا على المراكز والسكك الحديدية وخطوط التلغراف فى كل امتداداتها، لم يكن الخوف من هجوم ثوريين محترفين، ولكن من أن الفلاح «محمد أحمد» كان يأتى بفأس ليدمر الإصلاحات التى تمت منذ ساعات قليلة».

وعندما علق السيد ألكسندر بيرار Alexandre Berard نائب رئيس مجلس الشيوخ على العبارة السابقة فى مقال شديد الأهمية قال: «لم تكن ثورة نظمها حزب سياسى أو طائفة دينية، بل كانت مطالبة علانية من كل عناصر الأمة بحقوقها، الطبقات الليبرالية، والأرستقراطية، والبرجوازية، والتجار، والفلاحون.

شارك فيها الرجال، والنساء، والأطفال منذ البداية فى سنة ١٩١٩، ولم يهز القانون العسكرى الذى أعلنه الجنرال ألنبي Allenby تلك الحركة التى أخذت امتدادًا جديدًا فى كل يوم منذ ثمانية أشهر».

مجلة الحوليات الاستعمارية Les Annales Coloniales

٢٦ أغسطس

وتضيف مجلة سترداى ريفيو Saturday Review: «كيف يمكن أن نصل إلى هذه النتيجة بعد نصف قرن من الهيمنة الإنجليزية، إن قرونا من القمع الذى مارسه قوة شرقية لم تستطع تحقيق ذلك، وهو أن تحيل جنس الفلاح الأكثر رضوخًا، والأكثر مسالمة فى العالم إلى حالة من الثورة العنيفة؟»

لقد كانت تفسر ذلك بخروقات الهيمنة الإنجليزية!

إلا أن الماضي يعلمنا ضرورة الحذر من الاعترافات المتأخرة والأسف بعد فوات الأوان، لأن ثمة خلفية فكرية هنا: فالصحف الإنجليزية وهى تخلع على نفسها انطباعاً بالإخلاص والشفقة على مصيرنا، تريد أن تقنعنا الآن بأن الثورة المصرية قد أثارها فقط خروقات الهيمنة الإنجليزية، أو على الأقل سياسة الخنق المنتظمة. إذن لا توجد هناك سوى وسيلة واحدة شديدة البساطة، وهى الإيحاء لنا بأن حل هذه المشكلة المثيرة للقلق: يأتى بدراسة الشكاوى وتحسين النظام الحالى. ومن أجل تحقيق ذلك سوف تذهب لجنة إنجليزية فى وقت قريب إلى مصر! كلا، إن المكيدة هنا شديدة الوضوح ولا يمكن الوقوع فيها^(٢٣).

إن السيد بيرار Berard يرى فى المقال السابق ثمة شيئاً آخر غير أخطاء الإدارة الإنجليزية: «لقد كان هناك إعلان الحماية البريطانية والتمسك به فى حين أن الآمال فى الحرية والاستقلال كانت تظهر بجلاء أكثر فأكثر فى هذا البلد المرتبط بعمق بشدائد بترائه، حيث لم تكن النخبة وحدها هى المتشعبة بالأفكار والمذاهب الفرنسية فى هذا الشعب الذى يبلغ تعدادة ثلاثة عشر مليون نسمة».

إن الشعب المصرى، هذا الشعب شديد الطيبة، لم يثر فقط لأنه يئن تحت وطأة الظلم، ولكنه ثار أيضاً لأنه كان لديه مثل أعلى فى الاستقلال والحرية. إن قوة هذا المثل الأعلى هى التى أثارت حميته وأعادت إليه طاقته الأولى. لقد وجدت أفكار الرئيس ويلسون التى ظهرت فى جو الحرب لدى هذا الشعب — صاحب الحضارة ذات النصف الشرقى والنصف الغربى —

(٢٣) كتبت الديلى جرافيك Le Daily Graphic فى ١٠ أكتوبر تقول: «العناصر الثورية فى مصر لا تريد بطبيعة الحال المساعدة بأية حال من الأحوال فى معالجة أسباب الإضرابات الأخيرة. فتعرضت لجنة اللورد ملنر Milner التى ستذهب قريباً إلى مصر إلى هجوم عنيف من قبل عديد من الجرائد المصرية، وعلى الأقل يوجد هناك احتمال يجعل الثوريين المصريين يقومون بجهد فى التوسع فى مقاطعة اللجنة بشكل جماعى عندما ستصل».

أرضاً مشجعة. لقد كانت شبيهة بأفكار الفلاسفة عشية الثورة الفرنسية، ركيزة عمل ثورى. ولكن علينا الاعتراف بأن أفكار الرئيس ويلسون لم تكن تستطيع أن تثبت وتعطى خلال بضعة أيام ذلك الحصاد الوفير الذى نراه اليوم، لولا أن الأرض المصرية كانت قد خصبت سلفاً من قبل العبقريّة الفرنسية. فمنذ حملة نابليون، وبفضل العلماء الفرنسيين ثم فى ظل محمد على وسعيد وإسماعيل، وبفضل معاونيهم الفرنسيين والمصريين فإن أفكار الثورة، أفكار الحرية والمساواة تلك لم تتوقف عن الانتشار وأحيت هذه الأرض التى كانت قد بدت بالأمس ميتة. لن نبالغ إذن عندما نقول إن الثورة المصرية هى ابنة الثورة الفرنسية.

إن الاحتلال الإنجليزي الذى تعود أصوله إلى بداية القرن التاسع عشر، ليس غير جريمة مع سبق الإصرار ومنذ زمن طويل، وما يفعلونه إنما هو مطابق لمخططهم. ألم تقل التايمز Times عن مصر: «مستعمرتنا البريطانية»! وفى هذه العبارة تظهر الغطرسة البريطانية والمخطط الإجرامى لداونينج ستريت Downing Street* وإذا ما كانت إنجلترا تريد بالفعل تصحيح التجاوزات، فهاكم اثنتان منها؛ أولاهما الإفراط فى استخدام القوة وهى مصدر كل الشرور؛ فقد احتلت إنجلترا مصر سنة (١٨٨٢) عن طريق القوة المسلحة، ضد إرادة سكانها وبدون إعلان حالة الحرب. وأما ثانيهما فهى خيانة الثقة؛ فقد وعدت إنجلترا رسمياً بالجلء عن مصر، فور أن يعود النظام؛ وها هى أربعون عاماً تمر! لقد أصبح النظام اليوم كله فى اضطراب، لكن من هو المخطئ؟ إنجلترا التى لم تحترم تعهداتها الرسمية التى وثق بها المصريون خاصة أثناء حرب العدالة.**

فلتكف إنجلترا عن سياسة الحلول الوسط! فالمصريون لن يقبلوا

* مقر رئاسة الوزراء البريطانية. (المترجمان)
** يقصد بها الحرب العالمية الأولى. (المترجمان)

المساومة على حرياتهم، وعلى الإنجليز أن يفهموا ذلك. إنه أمر عديم الجدوى فيما يقدمونه المرة تلو المرة من الوعد والوعيد؛ ذلك أن صورة الاستقلال ما إن بزغت مرة فإنها أبدا لن تختفى. وإضافة لذلك، فإن لدينا حقوقاً لا يمكن تجاهلها في هذا الاستقلال:

- ١- حق طبيعي: هو حقوق كل الشعوب في تقرير مصيرها.
- ٢- تاريخية: ذلك أن مصريي اليوم هم الأحفاد الأصليون للمصريين القدماء؛ ونتيجة لذلك فإن لهم حق الساكن الأول على البلاد. فأرض الفراعنة ليست أرضاً بلا مالك.
- ٣- حقوق مكتسبة:
 - أ. معاهدة لندن (١٨٤٠ - ١٨٤١) التي أعطت لمصر استقلالاً داخلياً كاملاً.
 - ب. ما أعطته فرمانات أخرى لمصر بعد ذلك من بعض سيادة خارجية. فقد كانت مصر عشية الحرب شبه مستقلة.
 - ج. وعن طريق المساعدات التي قامت بها حبال الحلفاء أثناء الحرب وفي ظروف صعبة، كانت تستحق المكافأة وما على هذه المكافأة غير تأكيد وضع قائم مطابق لروح وحرفية القانون الدولي: الاستقلال.
- ٤- حقوق عملية:
 - أ. إن مصر، عن طريق ثروتها المشهورة، وعن طريق وحدتها العرقية وبتنظيمها السياسى والإدارى والاجتماعى، يمكنها أن تكتفى بذاتها، وملء دورها كاملة مستقلة.
 - ب. إن الأمة المصرية تطالب بحقوقها وحريتها المغتصبة، بهذه الطريقة شديدة الدلالة، عندما نهضت على قلب رجل واحد ضد

مضطهدية. وبالرغم من ذلك كله، فإن معاهدة السلام أنهت عبوديتها واعترفت بالحماية غير الشرعية، ولم تأخذ بعين الاعتبار إرادة الشعب المصري. لقد حرمت بهذا الظلم الفادح لا من ثمار السلام فحسب، ولكنها سلبت أيضا استقلالها الذى ضمنته معاهدة لندن، لتخرج من الحرب الشرعية* ذليلة ومستعبدة.

وأكثر من ذلك؛ فإن مؤتمر السلام قد استمع لقبائل عربية، بينما أغلق — هذا المؤتمر نفسه — أمام الوفد المصرى وصم آذانه عن دعوات الممثلين الشرعيين لهذا الشعب التعس. ففي اتفاقيته الأولى من يناير سنة (١٨٧٦)، المتعلقة بإقامة المحاكم المختلطة، وفي اتفاقية سنة (١٨٨٠) المتعلقة بقانون التصفية، وفي اتفاقية التاسع والعشرين من أكتوبر سنة (١٨٨٨) المتعلقة بحياض قناة السويس، فى كل هذه الاتفاقيات التى أعدتها القوى الأوروبية كانت مصر تستشار، فيما عدا الاتفاقية الأخيرة، فقد كان لمصر وجودها بين الأطراف العليا للاتفاق. يقول وفدنا «ألم يكن من المدهش أن المجتمع الأوروبى الذى لم يكن يتخلف عن الاستماع إلى مصر فى القرن التاسع عشر لإعداد المعاهدات التى تخص مشكلات أقل أهمية من ذلك هو نفسه الذى يصل فى القرن العشرين كى يرفض لمصر هذا الحق؟ وداخل مؤتمر تأسس تحديدا على مبدأ أن مصالح الأمم الصغرى هى أيضا مقدسة كمصالح الأمم الأكثر قوة؟» حقا.

إن هذا السلام لم يكن بحال بمستوى النصر الذى تحقق. إننا نفكر مثل الرئيس ويلسون Wilson لكننا نتصرف مثل ميترنىخ Metternich وبعيدا عن الأخذ فى الاعتبار تلك الحقيقة الحية وحتى يكون أعضاء مؤتمر السلام فى مستوى عصرهم فإنهم لم يفعلوا سوى الاستمرار فى النظام السياسى القديم

* يقصد الحرب العالمية الأولى. (المترجمان)

الذى يقوم على التسويات والتنازلات بين المتنافسين والخصوم. رغم أن قرناً من الزمان يفصل بين مؤتمر فرساي ومؤتمر فيينا إلا أنهما يتشابهان فى عديد من الوجوه.

فقد تم التخلي عن مصر وشعبها لإنجلترا وكأنهما شيء فى المساومة لا قيمة لهما، متناسين القواعد الأولية للعدل، إن مؤتمر السلام هو المسئول الأوحد عن الدم المهدر لأنه سلم مصر إلى مضطهديها دون دفاع. فمسئوليته إذن مؤكدة، ولسنا وحدنا الذين نقول ذلك: فالدكتور إليس Ellis الذى عاش فى مصر أثناء الثورة يكتب:

«لماذا هذه الثورة، هذه النكبة الدامية، هذا الغضب الأعمى ضد شعب جعل من مصر أرضاً خصبة ومبتسمة؟»^(٢٤)

«ها هى الإجابة الحقيقية والمؤلمة: مؤتمر السلام هو المسئول». إن هذه الثورة الوطنية المصرية، وهى المشكلة الداخلية الأكثر خطورة التى واجهتها إنجلترا منذ انتفاضة سنة (١٨٨٢) – وحتى إذا لم نستثن التمرد الأيرلندى الخطير – إنما هى نتاج خاص لمؤتمر باريس.

«إن المد البشرى الهائج الآن حول العالم والذى يلتقى فى إيكه دورسيه (وزارة الخارجية الفرنسية) أثار المياه الراكدة فى حياة أرض الفراعنة فى أقصى عمقها، ودمر السدود التى كانت تفصل الشعب فى روافد ومصالح متفرقة. لقد ناصر الثائرون والمتظاهرون فى مسيرتهم مبادئ الرئيس ويلسون».

نيويورك هيرالد Newyork Herald، ٣١ مايو

إلا أننا لن نأس فى حكمة رجال الدولة من الحلفاء. ففى مقابل نفاق لغة بعضهم المموهة للحق والعدل، سنفرض صراحتنا.

(٢٤) أخطأ د. إليس فى هذه النقطة مثل العديد من الآخرين الذين لم يروا ممّا فعله الإنجليز إلا الواجبة.

وهكذا! بدلا من الإمساك بمصر منحنية تحت نير دموى، ترفضه بكل قواها، من الأفضل لإنجلترا احترام التزاماتها وأن تعيد مصر للمصريين. إنها سوف تكسب بهذا تعاطف أربعة عشر مليون نسمة متمسكين باستعادة استقلالهم وبعث ماضيهم التليد.

ومن ناحية أخرى، فمصر الحرة يمكنها الأخذ في الاعتبار مصالح إنجلترا. فإرادة الوصول إلى اتفاق سوف يمكن للبلدين مسبقا تسوية مشكلة قناة السويس ومشكلة القطن التي تهم الإمبراطورية البريطانية بخاصة. ومن المهم هنا أن نذكر إعلان رئيس الوفد المصرى سعادة سعد زغلول باشا فى هذا الصدد:

«لقد مثلت ضرورة حماية طريق الهند بتأمين العبور الحر فى قناة السويس أكبر اعتراض للحكومة البريطانية.

ولا يمكن لنياتنا فى هذه النقطة إلا مواجهة اتفاق كونى، فقناة السويس هى ملك لمصر، إلا أننا لا نرغب فى أن تكون سبب مأساتها. لذلك نحن مستعدون لقبول كل اقتراح سيُقدم لنا بشأن ضمانات حرية المرور. وسوف نوافق على الراح، وبسرور أن نضع قناة السويس تحت رقابة وإدارة عصبة الأمم. إلا أن هذا يمكن ويجب أن يتم دون المساس على الإطلاق بحريتنا.»

ليروب نوفيل L'Europe Nouvelle، ٢٦ أبريل

أما بالنسبة لمؤتمر السلام، وحتى لمصلحة السلام الدائم الذى يريد المؤتمر إقامته، فإننا نلزم أنفسنا بواجب التذكير بأن المصريين، وهم شديداً الفخر بماضيهم وبحاضرهم، كيف لهم أن يوافقوا بسهولة على هيمنة أجنبية مضحين بماضيهم؟ وقد كانت مصر مهد الحضارة؟ وبحاضرهم؟ ومصر هى البلد الأكثر حضارة فى الشرق وقد أعطت للعالم، فى انطلاق وطنى نزيه،

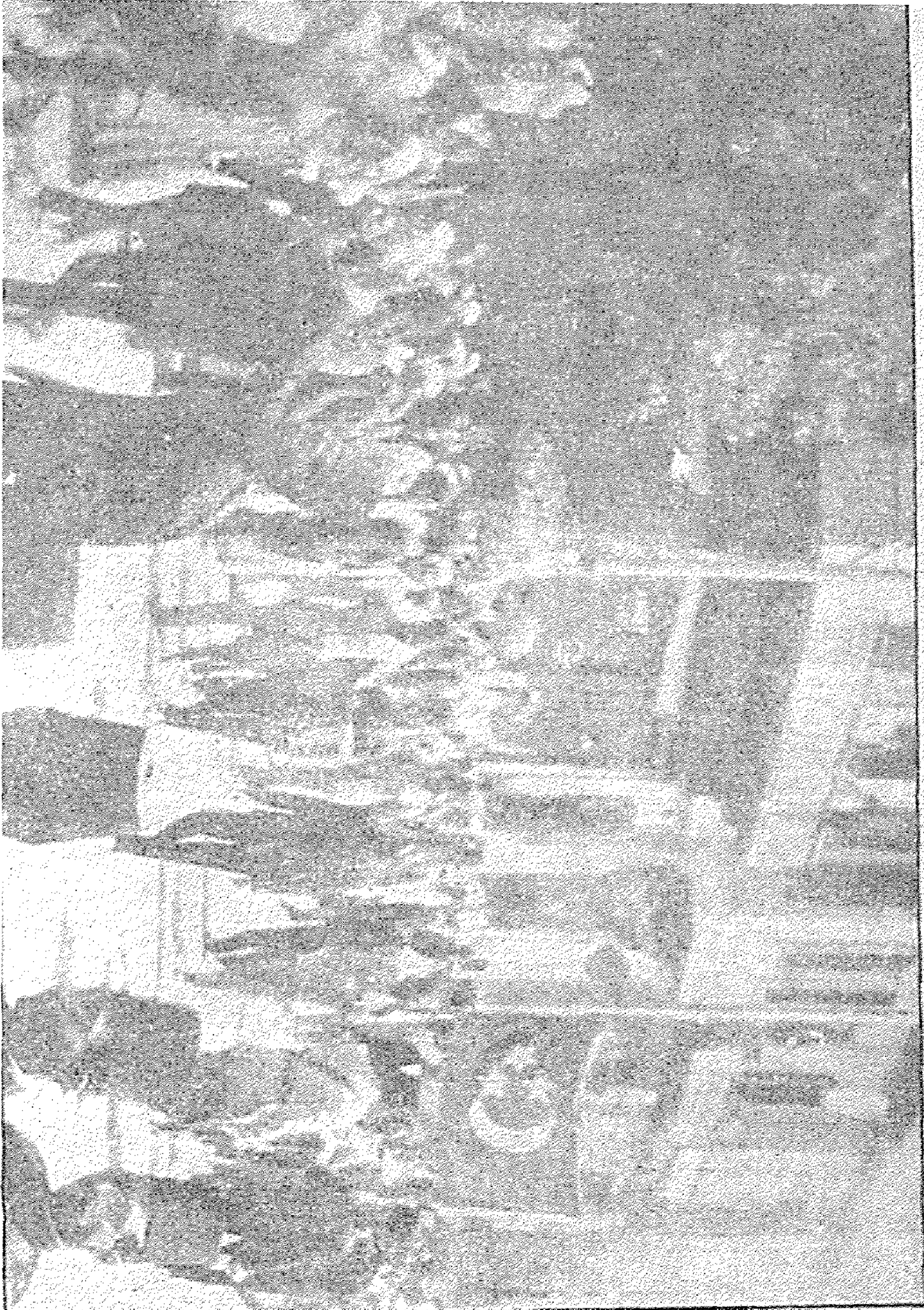
ذلك البرهان الذى لا يمكن إنكاره بأنها لم تمت، على الرغم من كل هذه الهيمنات الأجنبية التى تعاقبت عبر التاريخ، وأنها لا تريد الموت. تقول جريدة Le Temps حديثاً: إن المسألة الشرقية التى ظلت بلا حل، يمكنها تقدير السلام فى الغرب. وهذا حقيقى جداً، ولكن المسألة المصرية هى العنصر الأساسى للمسألة الشرقية. إذن ينبغى لحل المسألة الشرقية أن نحل أولاً المسألة المصرية. والاعتراف بالحماية البريطانية ليس وسيلة لحلها. إنها طريقة خطيرة — على أية حال — وليس بالبحث عن حل شديد التبسيط يمكننا أن نصل إلى تجاوز الصعوبات. إن تسليم مصر مكثفة الأيدي والأقدام لمضطهديها هو إرغام لها على نضال دون رحمة، لتكون فى ثورة دائمة؛ وهو ما يعنى خلق بؤرة للاضطراب فى الشرق القابل للاشتعال؛ إنه تعريض للسلام فى الغرب للخطر. وهى حقيقة علينا أن نقولها وعلى رجال الدولة الحلفاء ألا يتجاهلوها، كما أن عليهم أن يتحملوا مسئولياتهم.

(ملحق)

صور التقطت أثناء الثورة



- ضباط الجيش المصري يقومون بحمل العلم
جمهور المتظاهرين -



- ضباط البوليس وطلبة المدرسة الحربية يتظاهرون.

- طلبة جامعة الأزهر يتظاهرون بعلمين يحمل "حرية" ، ويحمل الآخر الصليب والهلال .



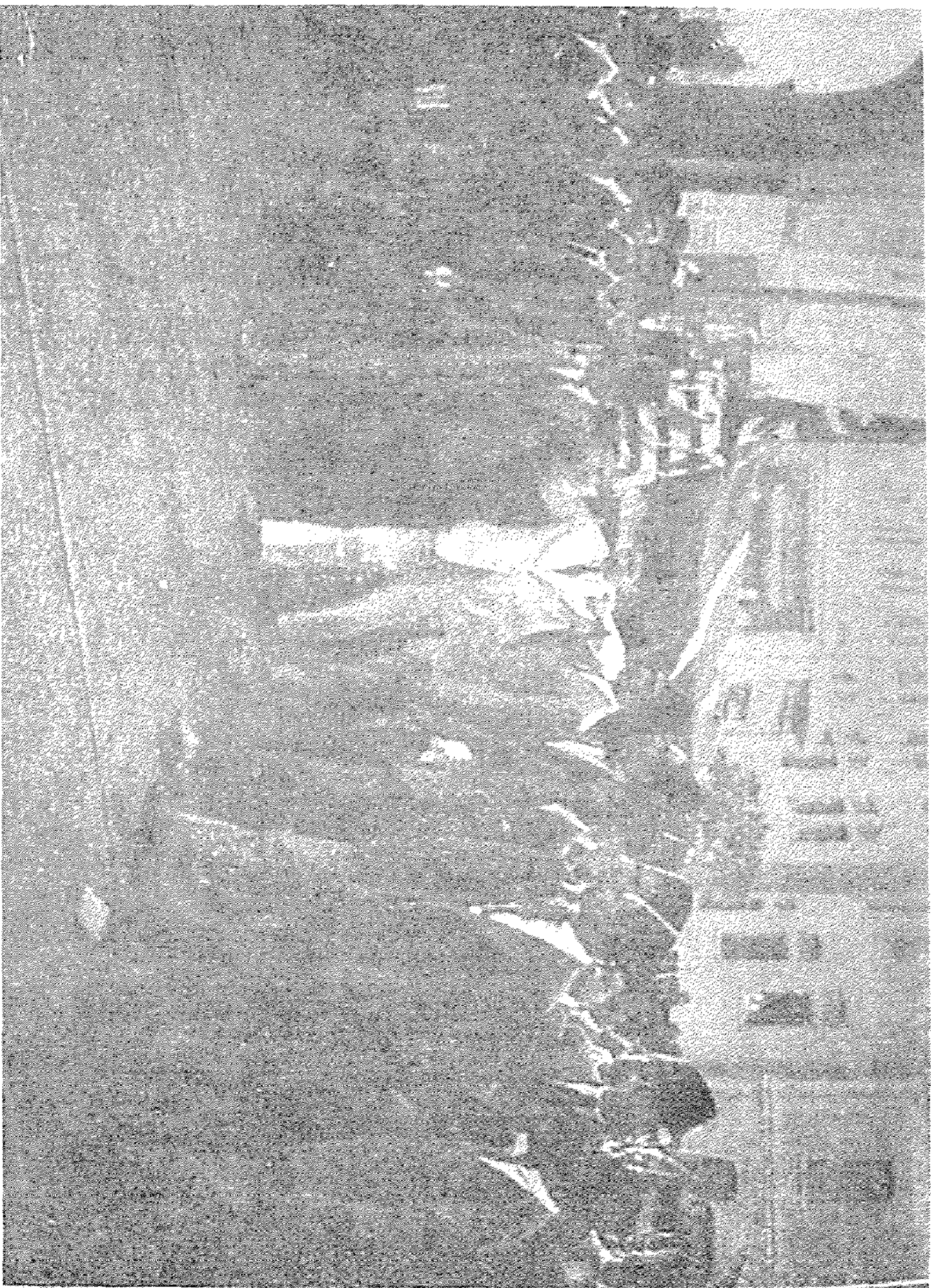
مظاهرة النساء المعصريات صُرح بها أولا وأُوقفت فيها بعد بالقوة المسلحة.





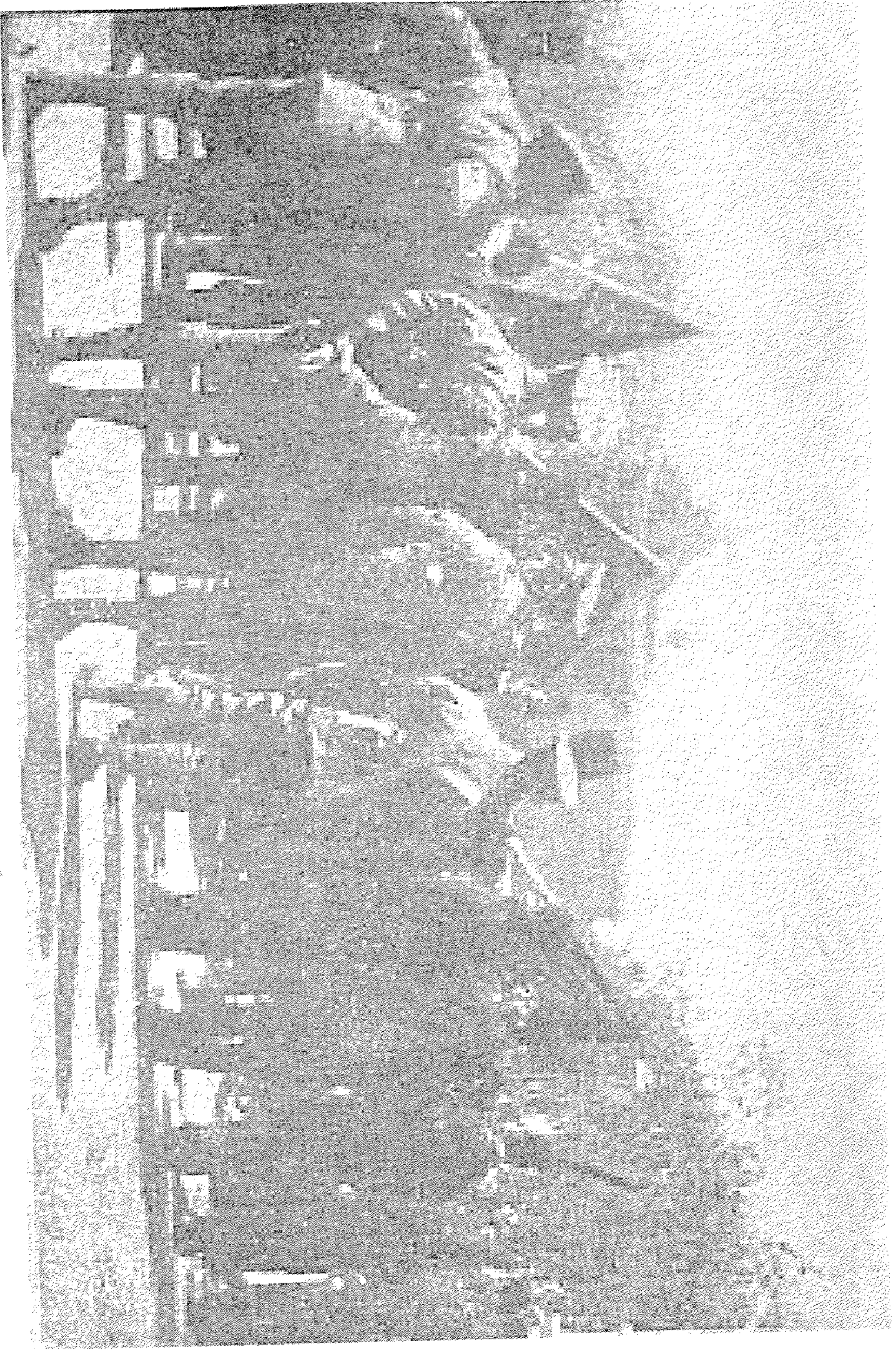
- ميدان عابدين أثناء انتفاضة ٩ أبريل (جريدة إليستراسيون، ٣ مارس Illustration).

- نعيش أحد الضحايا، ملفوفا بالعلم المصري، يحميه الطلاب. (جريدة الإيستر اسيون، ٣ مايو Illustration).

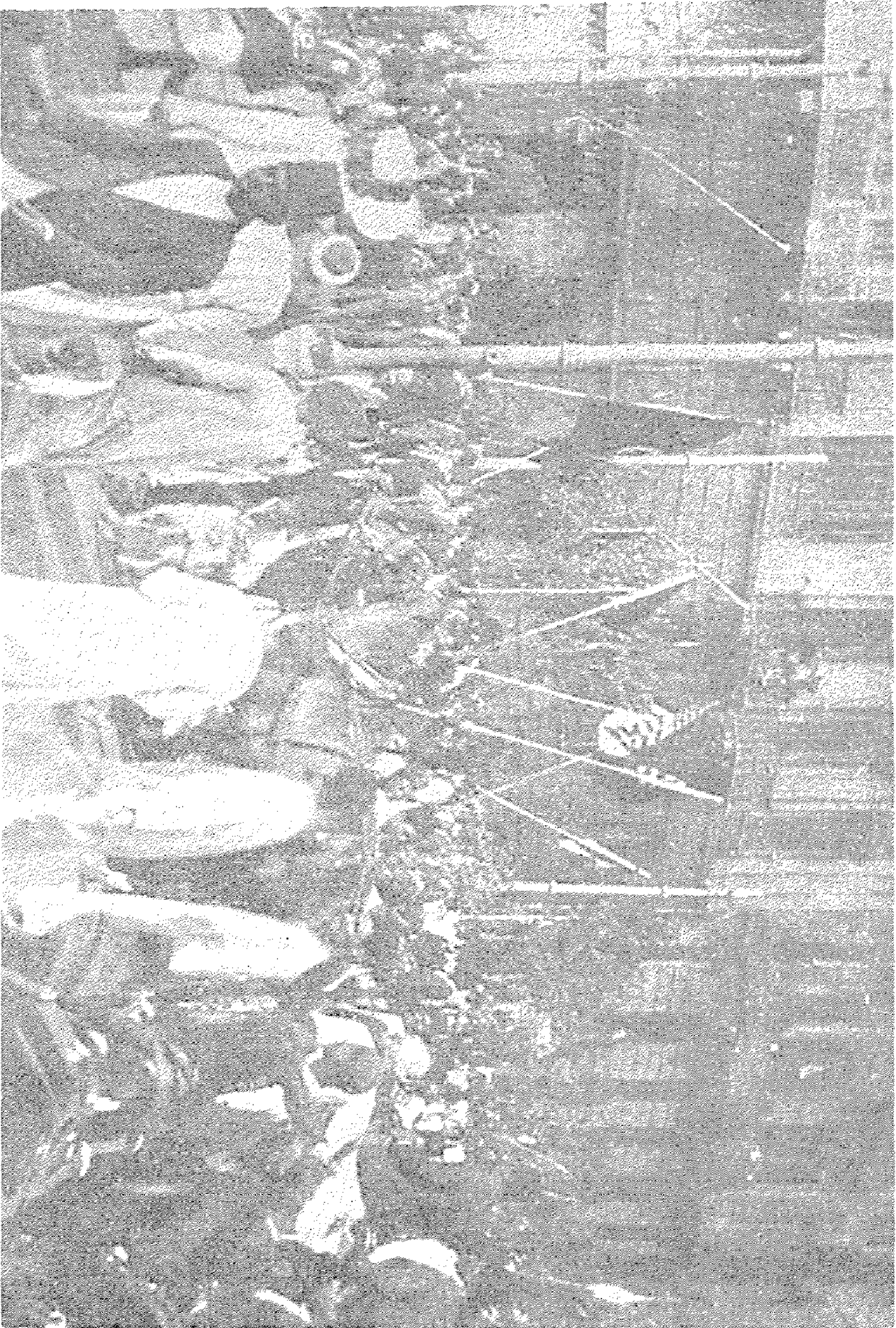


- جنازات.

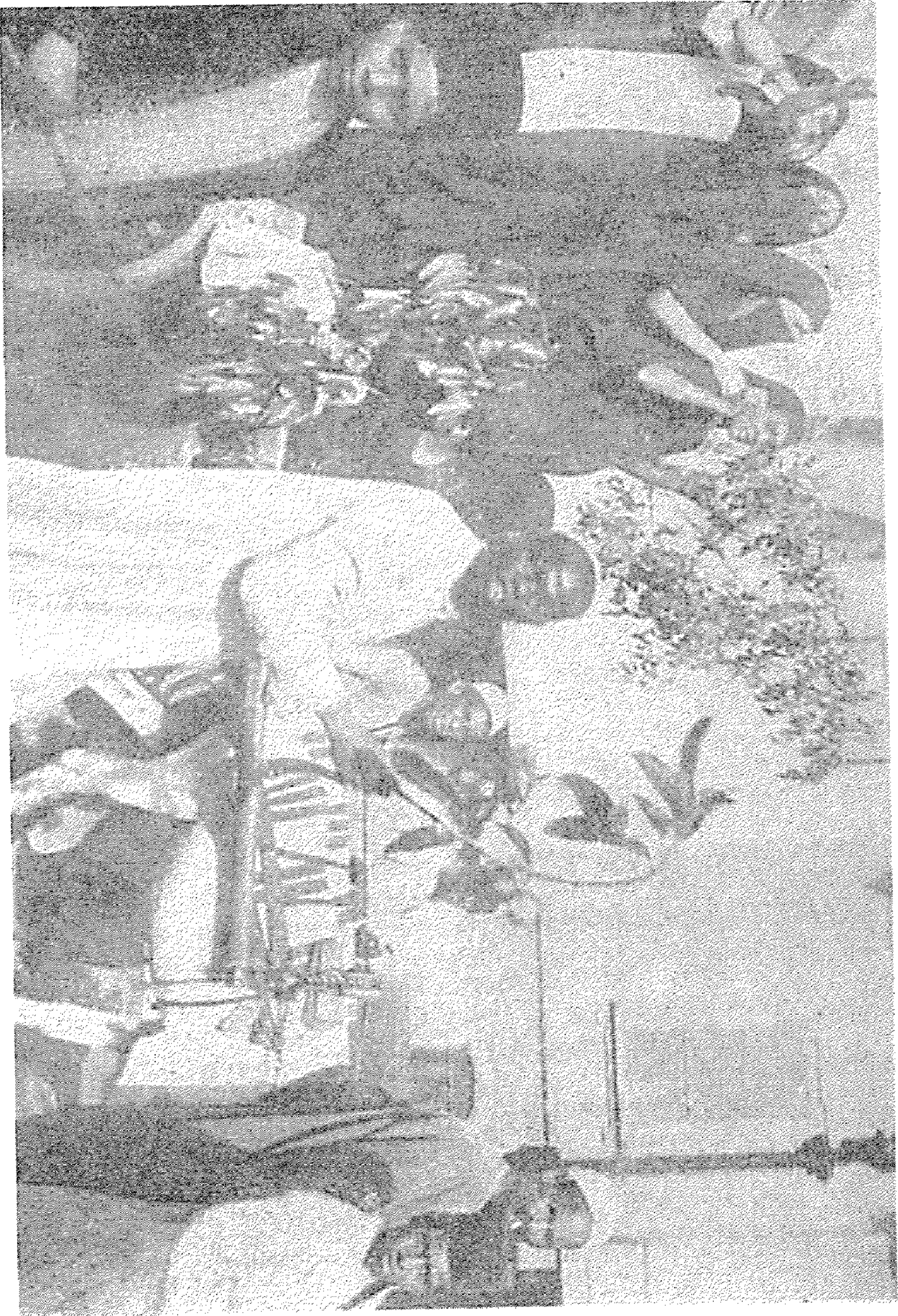




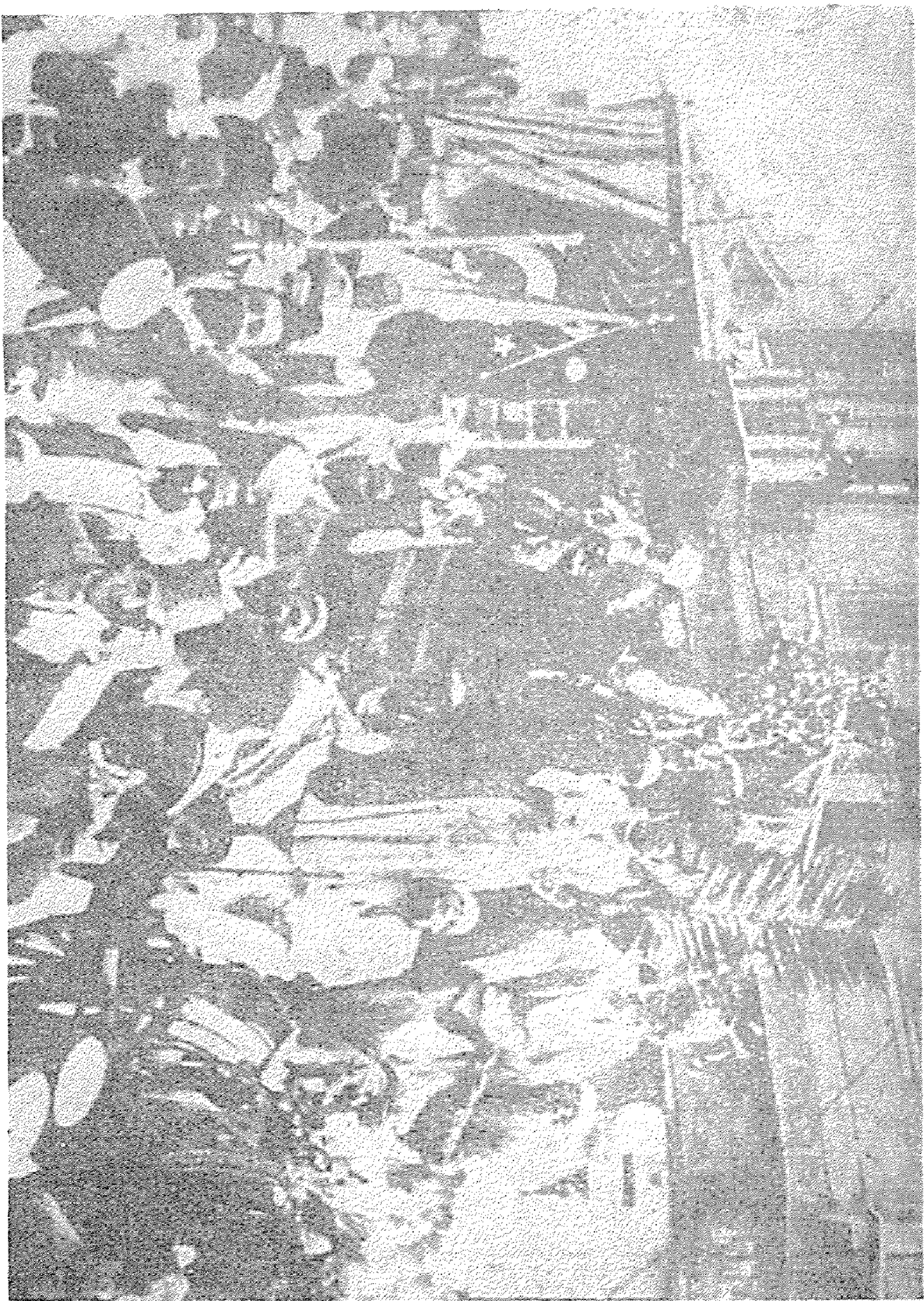
- جنازات نرى فيها عرضاً للأعلام، يحمل أحداها هذه الكلمات "رحمة الله على الأبرياء".



- مظاهرة نرى فيها عرضا لكل أعلام الحلفاء.



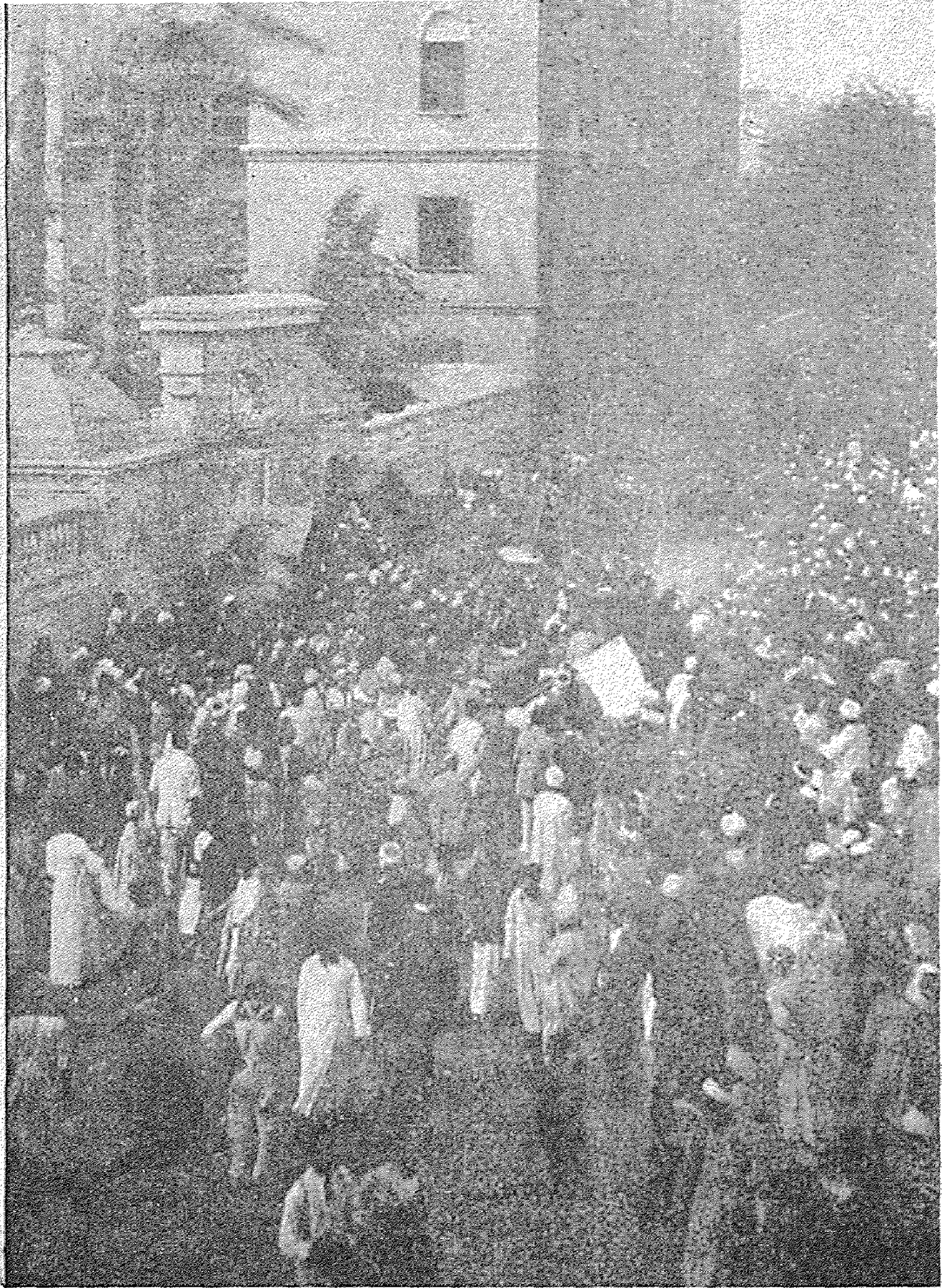
- نساء يتفنن على عربة يجرها حمار، يعبرن عن حبهن للوطن وللحرية وهن يلوحن بفروع الأشجار.
(جريدة الإيستراسيون، ٢ مايو Illustration).



- مظاهرات فرج -



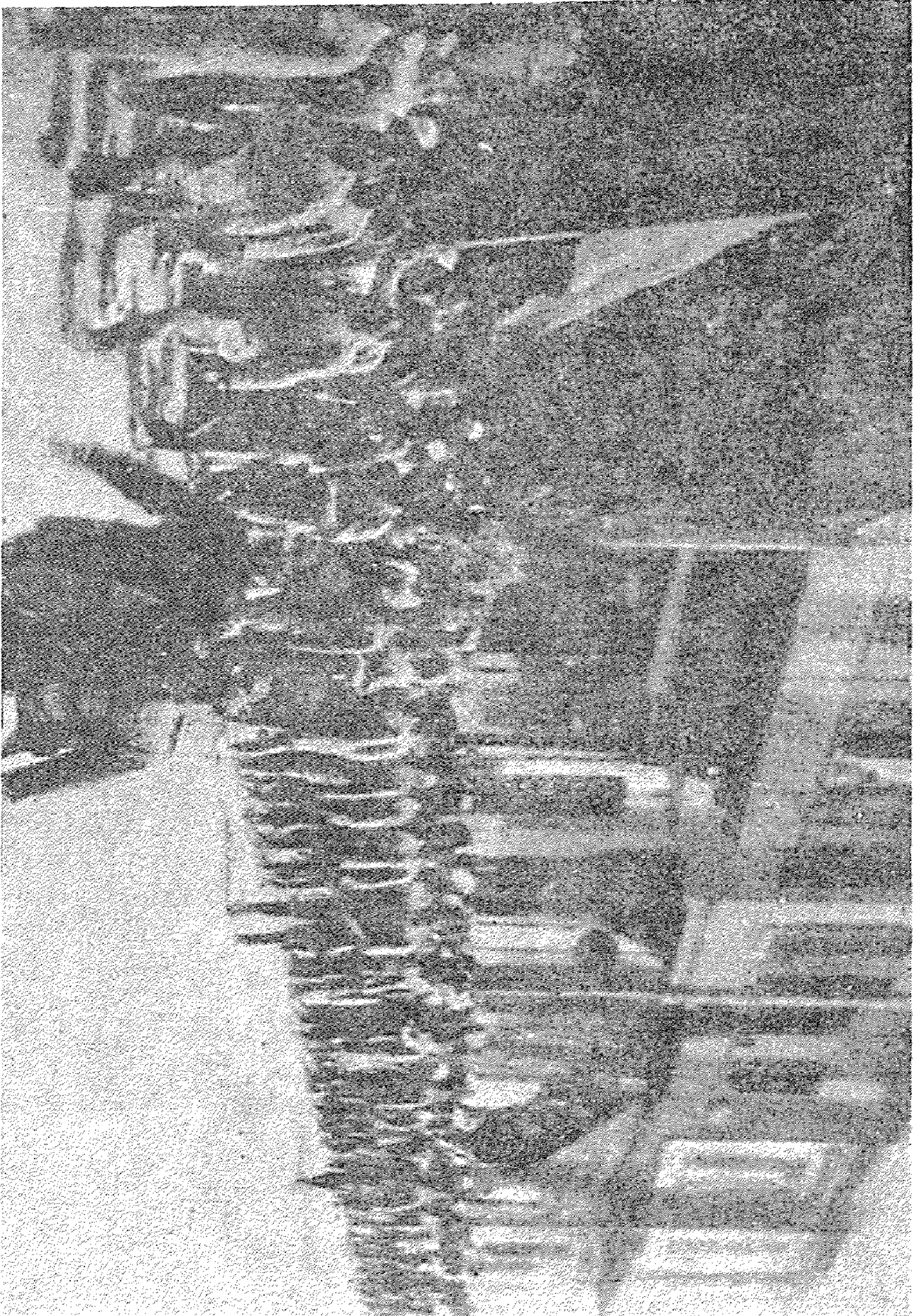
- المتظاهرون يلوحون بأعلام الأمم الحليفة . علم إيطاليا
(جريدة إليستراسيون، ٣ مايو Illustration).



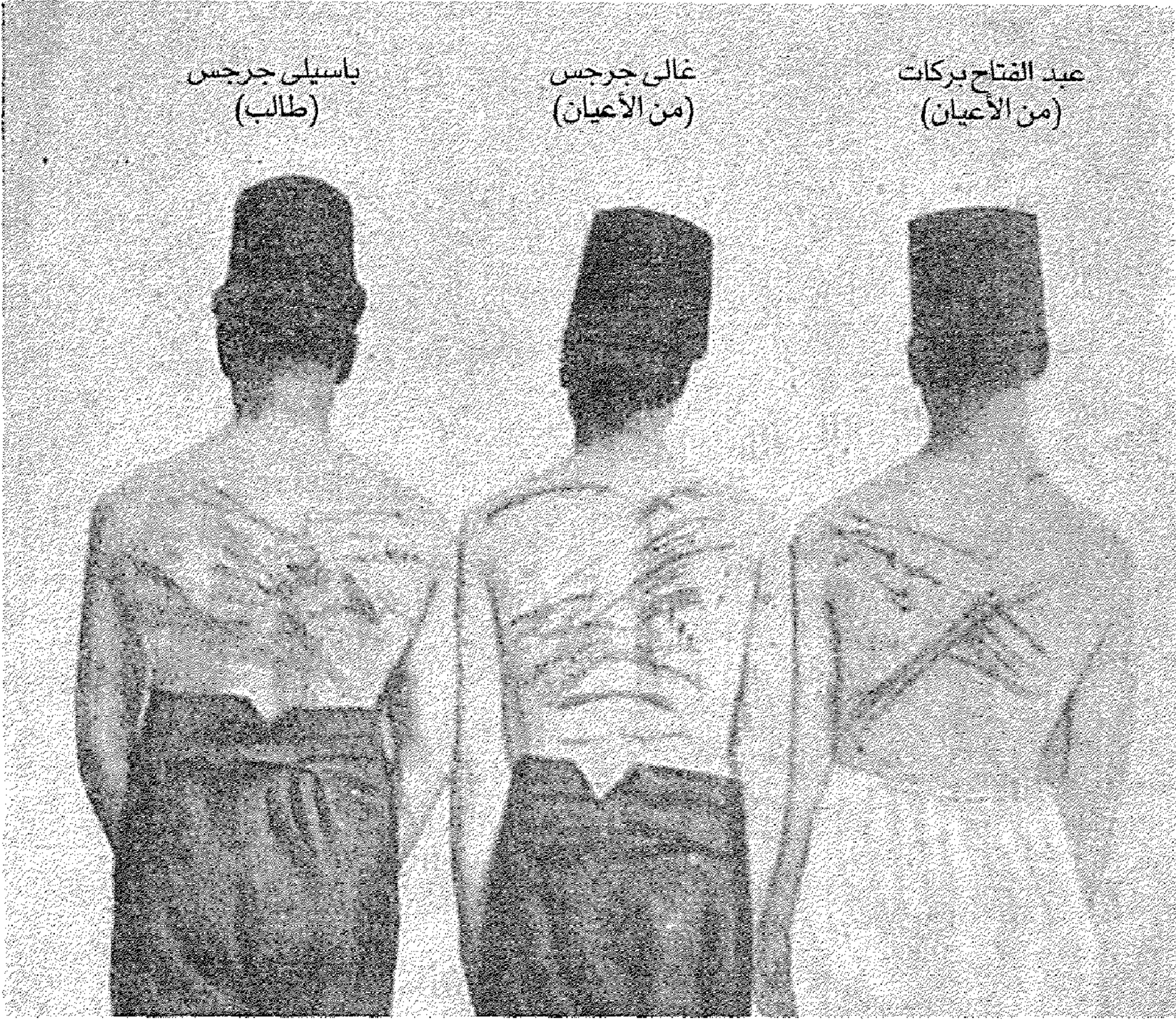
- مظاهرة كبيرة أمام قصر عظمة السلطان.



- طفلة فى الثانية عشرة مصابة إصابة قاتلة.



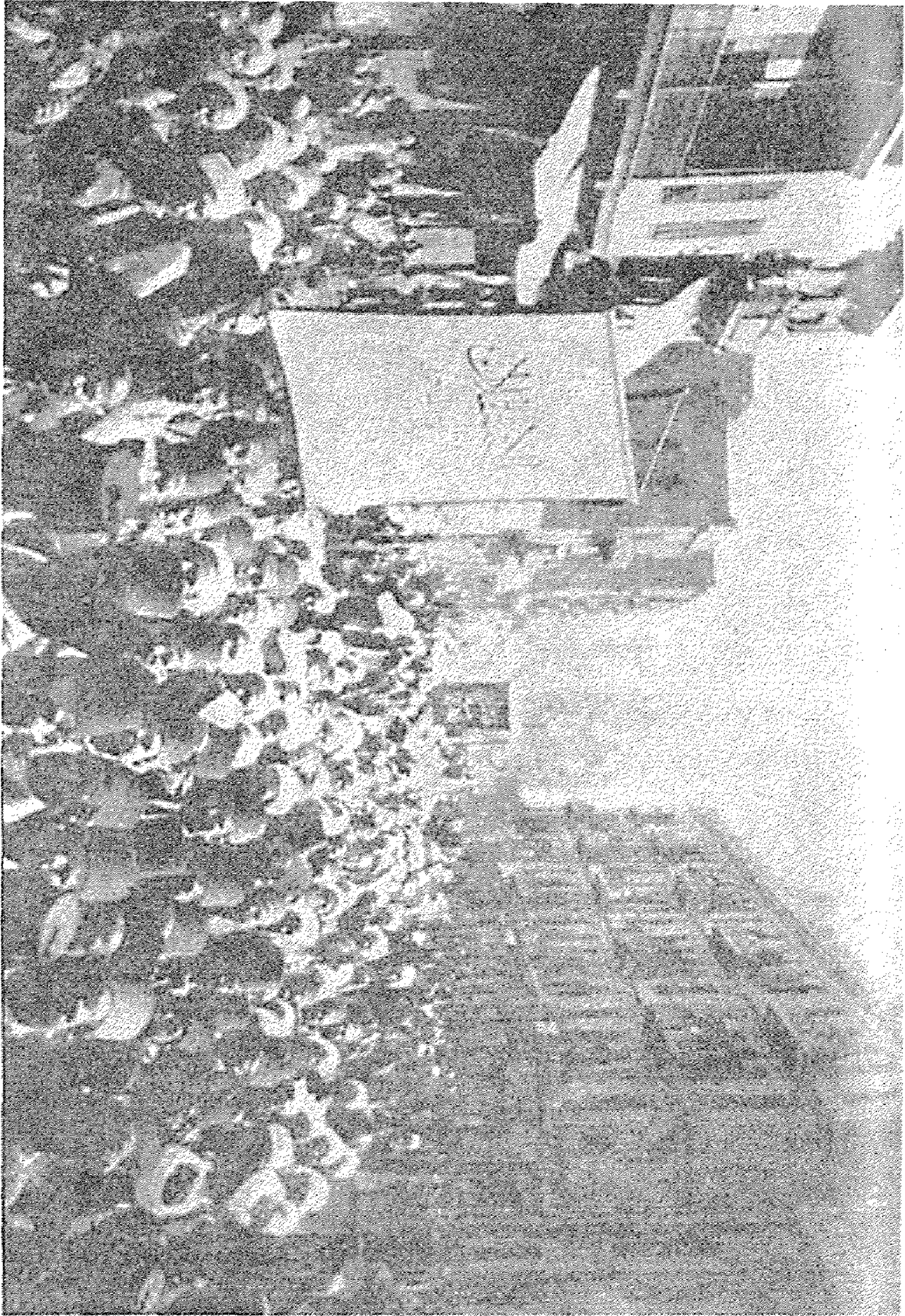
- الكتيبة الثالثة لسلاح المشاة المصري تغادر المعسكر للاتحاق بالمتظاهرين بهتاف " تحيا الحرية !".



منظر لآثار الجلد.



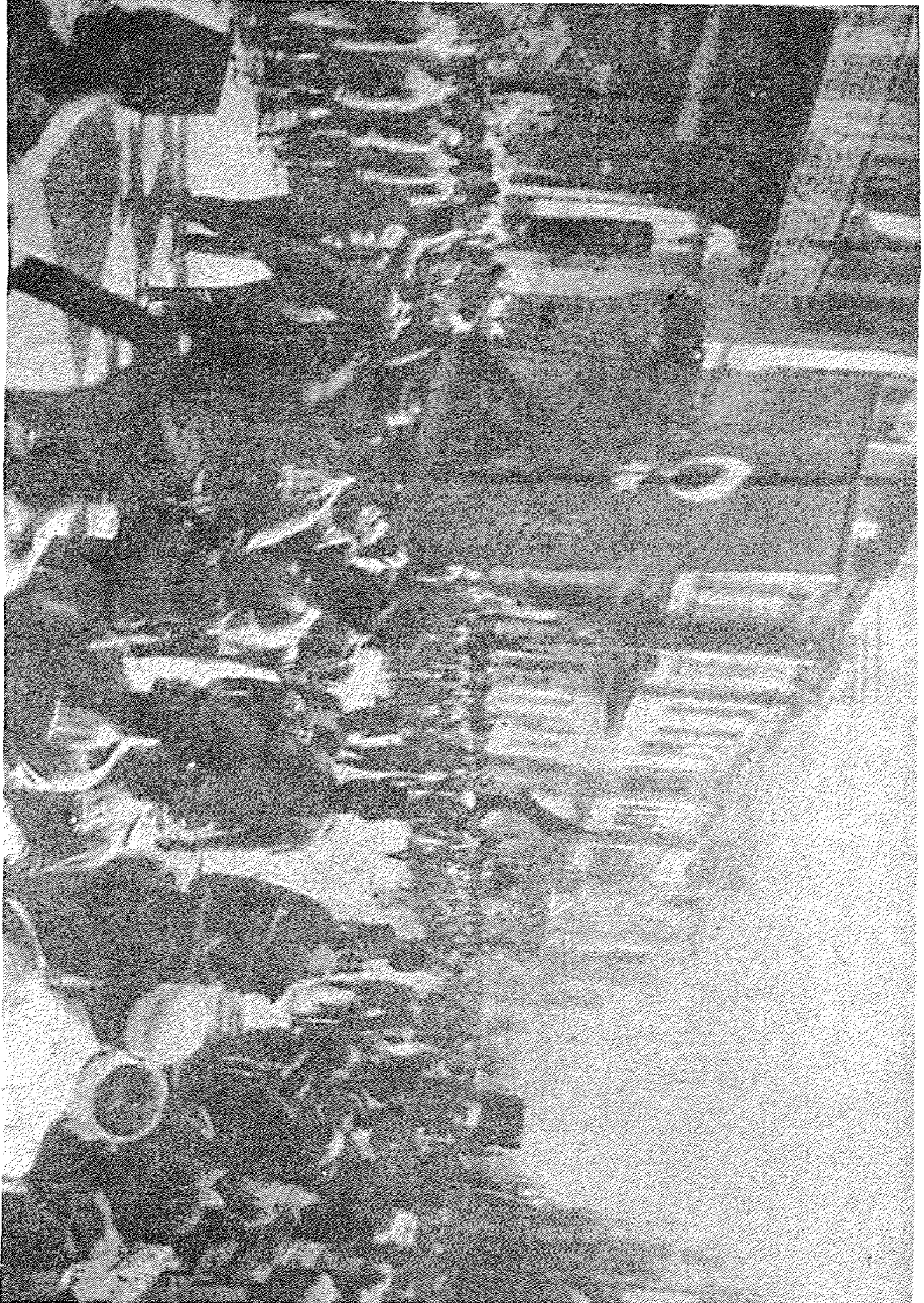
- قتيلة.



- أهالى القاهرة يتظاهرون فى شوارع المدينة الرئيسية
بعلم يحمل كلمة "الاستقلال".

- قضاة ومحامون يتظاهرون بهلا بسهم الرسمية أمام قصر السلطان.





- الجيش المصري وضباطه يتظاهرون في الشوارع وهم يحملون علماً عليه
شعارات: "مصر للمصريين" "يحيا الاستقلال"

- طلبة جامعة الأزهر يلوحون في مظاهرة اتهم بعلم كبير يحمل شعار: "قليحي الاستقلال التام"
إلى جانب العلم صورة مصطفى كامل؛ الزعيم السابق للحزب الوطني المصري.



المؤلف فى سطور

محمد صبرى «السوربونى» (١٨٩٤؟ - ١٩٧٨)

مؤرخ مصرى اهتم بدراسات تاريخ مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين، له عديد من المؤلفات بالفرنسية، وبعض المؤلفات بالعربية، يعد أحد مؤسسى المدرسة القومية المصرية فى الكتابة التاريخية، كما كانت له إسهاماته المهمة فى الدراسات الأدبية، خاصة فى مجال دراسات الشعر العربى القديم والحديث.

حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون سنة (١٩٢٤) ومن هنا لقبه معاصروه بالسوربونى، وشارك فى مساندة الوفد المصرى فى فرنسا أثناء دراسته هناك، وألف كتابه عن الثورة المصرية باللغة الفرنسية، وبعد عودته إلى مصر اشتغل بالتدريس فى مدرسة المعلمين العليا ثم فى الجامعة المصرية فى عامى (١٩٢٥) و (١٩٢٦)، وتقل بعد ذلك فى عدة وظائف كان آخرها منصب مدير معهد الوثائق والمكتبات التابع للجامعة المصرية فى عام (١٩٥١)، وفصل من الجامعة فى حركة التطهير الأولى سنة (١٩٥٢). وقد اعتزل العمل العام فى سنواته الأخيرة، وتوفى فى يناير (١٩٧٨).

المترجمان فى سطور:

د/ على محمد إبراهيم كورخان

أستاذ بقسم اللغة الفرنسية وآدابها بجامعة حلوان
حاصل على الدكتوراه فى الأدب الفرنسى من جامعة باريس ٤ السوربون ١٩٩٥.
حصل على دبلوم الدراسات المتعمقة DEA فى اللغويات من جامعة باريس ٤
السوربون ١٩٨٤.
وحصل على ليسانس الآداب من قسم اللغة الفرنسية وآدابها من جامعة عين شمس
سنة ١٩٧٦.
له العديد من الدراسات والأبحاث فى مجال الحضارة الفرنسية وعلاقتها بالشرق
العربى والإسلامى إضافة إلى مجموعة كتب حول الحضارة الفرنسية فى عصورها
المختلفة.

د/ مجدى عبد الحافظ عبد الله صالح

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة بجامعة حلوان.
حاصل على الدكتوراه فى العلوم الإنسانية (فلسفة معاصرة) من جامعة باريس ١٠،
نانتير بفرنسا سنة ١٩٩١.
حاصل على دبلوم الدراسات العليا للجامعة DESU من جامعة باريس ٨، سان
دينى ١٩٨٧.
حصل على دبلوم الدراسات المتعمقة DEA فى الفلسفة المعاصرة من جامعة باريس ٤
- السوربون ١٩٨٢.
حصل على دبلوم الجامعة المرحلة الثالثة فى الفلسفة المعاصرة من جامعة باريس ٤ -
السوربون ١٩٨١.
حصل على ليسانس الآداب فى الفلسفة من جامعة القاهرة ١٩٧٦.
عمل مدرساً بجامعة باريس ٤ - السوربون قبل أن يعمل بجامعة حلوان وهو أستاذ
زائر بجامعة إميان بفرنسا.
له العديد من المقالات والبحوث والدراسات والكتب فى مجال الفلسفة الحديثة
والمعاصرة والفكر العربى والتاريخ.

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد برويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهور باننيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل نصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مخلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندروس. جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار چينيت	ت : محمد معصم وعبد الجليل الأزني وعمر حلى
١١ - مخترعات	فيسوفا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونستون وأيرين قرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - بيانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب طوب
١٤ - التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن الموهن
١٥ - الحركات الفنية	إوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عطيفي
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مخترعات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بنوي
١٨ - الشعر النسائي فى أمريكا اللاتينية	مخترعات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يعنى طريف الخولى / بنوي عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صعد بهرنجى	ت : ماجدة العناني
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصري
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهور باننيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب طوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر ألن	ت : حمزة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٢٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٢٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٢٨ - نقد الحداثة	ألن تورين	ت : أنور مغيث
٢٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم قحى / محمود ملجد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزدوج	أوكتايفو پاث	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت : مارلين تانرس
٤٥ - التراث المغفور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام فى البلقان	ه . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميود ويوسف الشطكى
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانوبيا وخ . م بينياليستي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى قطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألجتون .	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الفنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ - لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد القطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العلم الإسلامى فى أول القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسى العجوز ت . س . إليوت
- ٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . توميكنز
- ٧٤ - صلاح الدين والماليك فى مصر ل . ا . سيمينوفا
- ٧٥ - فن التراجى والسير الذاتية أندريه موروا
- ٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى مجموعة من الكتاب
- ٧٧ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٢ رينيه ويليك
- ٧٨ - العولة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
- ٧٩ - شعرية التأليف بوريى أوسبىنسكى
- ٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
- ٨١ - الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن
- ٨٢ - مسرح ميجيل ميجيل دى أونامونو
- ٨٣ - مختارات غوتفريد بن
- ٨٤ - موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب
- ٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكى أقطاى
- ٨٦ - طول الليل جمال مير صادقى
- ٨٧ - نون والقلم جلال آل أحمد
- ٨٨ - الابتلاء بالتغرب جلال آل أحمد
- ٨٩ - الطريق الثالث أنتونى جيدنز
- ٩٠ - وسم السيف (قصص) نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
- ٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
- ٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميجيل
- ٩٣ - محدثات العولة مايك فيذرستون وسكوت لاش
- ٩٤ - الحب الأول والصحة صمويل بيكيت
- ٩٥ - مختارات من المسرح الإسبانى أنطونيو بويزو بايخو
- ٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة قصص مختارة
- ٩٧ - هوية فرنسا (المجلد الأول) فرنان برودل
- ٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى نماذج ومقالات
- ٩٩ - تاريخ السينما العالمية بيثيد روبنسون
- ١٠٠ - مساعلة العولة بول هيرست وجراهام تومبسون
- ١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج) بيرنار فاليط
- ١٠٢ - السياسة والتسامح عبد الكريم الخطيبى
- ١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آباء عبد الوهاب المؤدب
- ١٠٤ - أوبرا ماهوجنى برتولت بريشت
- ١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع چيرارچينيت
- ١٠٦ - الأدب الأندلسى د . ماريا خيسوس روبييرامتى
- ١٠٧ - صورة الغدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر نخبة
- ت : فؤاد مجلى
- ت : حسن ناظم وعلى حاكم
- ت : حسن بيومى
- ت : أحمد درويش
- ت : عبد المقصود عبد الكريم
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : أحمد محمود ونورا أمين
- ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
- ت : مكارم الغمرى
- ت : محمد طارق الشرقاوى
- ت : محمود السيد على
- ت : خالد المعالى
- ت : عبد الحميد شيحة
- ت : عبد الرازق بركات
- ت : أحمد فتحى يوسف شتا
- ت : ماجدة العنانى
- ت : إبراهيم الدسوقي شتا
- ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
- ت : محمد إبراهيم مبروك
- ت : محمد هناء عبد الفتاح
- ت : نادية جمال الدين
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : فوزية العشماوى
- ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
- ت : إينوار الخراط
- ت : بشير السباى
- ت : أشرف الصباغ
- ت : إبراهيم قنديل
- ت : إبراهيم فتحى
- ت : رشيد بنحو
- ت : عز الدين الكتانى الإنريسى
- ت : محمد بنيس
- ت : عبد الغفار مكاوى
- ت : عبد العزيز شبيل
- ت : أشرف على دعور
- ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيات حصاد كونجى وسكان المستقيم	ول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمىة رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سيتشيا تلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : ليس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبه من المترجمين
١٢١ - الليل الصغير فى كتلة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبرية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - إمبراطورية العثمانية وملاحاتها الدولية	نيتل الكسندر وفنابولينا	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جراى	ت : أحمد فؤاد بليغ
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ بيقى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	فولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعى
١٢٨ - الألب المقارن	سوزان باسنيث	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروتة	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندرية جوندر فرائك	ت : شوقى جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط فى الحطة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف	إيقلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - باريس فى ال	ريشارد فاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ وليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ - قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	بيريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولونوى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تأثير دوردست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأندونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبير
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ - عدالة الهند وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ - غرام الفراغة	فيولين فاتويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ - من المسرح الإسباني	الخوانيرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسبوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جورجون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لاکوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ - العلاقات بين المتنبيين والطمانيين في إسرائيل	يشعيا هو ليتمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - فى عالم طاغور	رابندراناث طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميفيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتتيرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى تروبا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوة	و . ب . بيتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُزْدَجْ علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	الفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الفانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - ساحت نامہ إبراهيم بك جا	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من نقد الأثجو - أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إيوين إمري وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندواى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد الطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا روس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألفاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شانزار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافالى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهولوية تصنع علماً جديداً	جيمس جلاليك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فريديناند نوموسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدي عبد الفنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان	مرزيان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر منذ قدم ثلثين حتى رحيل عبد القادر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جديدة المنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جينتز	ت : محمد محمود محي الدين
٢١٥ - سياحت نامہ إبراهيم بك جا	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان طبيعيتان	صمويل بيكيك	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كانزو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية في الكون	باري باركر	ت : علي يوسف علي
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراي	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم في مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نقادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابريل جارتيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد علي البربري
٢٢٧ - المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	موسى مارديا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مازق البطل الوحيد	نورمان كيومان	ت : أمير إبراهيم العمري
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١ - الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينز	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	آرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزي ج ١	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادي	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعري منبولى أحمد
٢٣٩ - العري في الأدب الإسرائيلي	جيلرافر - وايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فليق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامي حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - في انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبي
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الفليان	لاورا إسكييل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق علي منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرتيا ماركث	ت : علي إبراهيم علي منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحدائق في مصر	ولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	براجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	بومنيك فينك	ت : ماجدة أباطة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : علي بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومي
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روينسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روينسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكارت	ليف روبنسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلي رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزد	ت : عبادة كُحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني	نخبة	ت : فاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إنوارد مندوتا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت : علي يوسف علي
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلي	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودي
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزي ج ٢	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم السوقي شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١	وليم جيفور بالجريف	ت : صبري محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ٢	وليم جيفور بالجريف	ت : صبري محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الفريية	توماس سي . باترسون	ت : شوقي جلال
٢٧٢ - الأبيرة الأثرية في مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوي
٢٧٤ - السيدة بريارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود علي مكي
٢٧٥ - س. س. إليخ شاعرٌ وناقداً وكتّاباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمساني
٢٧٧ - الجنات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزي
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الأدب الهندي الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ - القربوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوي	ت : جلال الحفناوي
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيروت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان روافو	ت : علي البمبي
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عثمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حصن نظامي	حسن نظامي	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ - سياحت نامه إبراهيم بك ج ٢	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوي
٢٨٧ - الثقافة والعزلة والنظام العالمي	أنتوني كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ - الفن الروائي	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطي
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامفاني	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ - علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج ١	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج ٢	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ - مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بنوي
٢٩٧ - فن النحويين اليونانية والسورانية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مأساة العبيد	أبو بكر تقاوابليوه	ت : مصطفى حجازي السيد
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ - أسطورة برومثيروس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيري وبهاء جاهين
٣٠١ - أسطورة برومثيروس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي
٣٠٢ - فنجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ - يوزا	جين هوب ويورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ - ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ - الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ - الحماسة - النقد الكانطي لتاريخ	جان - فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ - الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ - علم الوراثة	ستيف جونز	ت : معنوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ - الذهن والمخ	انجوس چيلاتي	ت : جمال الجزيري
٣١٠ - يونج	ناجي هيد	ت : محيي الدين محمد حسن
٣١١ - مقال في المنهج الفلسفي	كولنجورود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ - روح الشعب الأسود	وليم دي بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ - أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعدي
٣١٤ - الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعي
٣١٥ - جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو	ت : كاميليا صبحي
٣١٦ - محاكمة سقراط	آ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ - بلاغ	شير لايموفا - زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ - الأدب للرئيس في السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ - صور نريدا	جايتير ياسبيفاك وكريستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ - لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ١ ج)	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ - وجهات نظر حبيبة في تاريخ الفن الغربي	بليو. إيوجين كلينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ - فن الساتورا	تراث يوناني قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ - اللعب بالنار	أشرف أسدي	ت : محمود سلامة علاوي
٣٢٥ - عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كريستين يوسف
٣٢٦ - المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق علي منصور
٣٢٨ - يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٢٢٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامى صلاح
٢٢١ - عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٢٢٢ - رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٢٣ - الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٢٢٤ - لقطات من المستقبل	أرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٢٢٥ - عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٢٢٦ - متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٢٢٧ - فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٢٨ - نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٢٩ - تاريخ الأدب فى إيران ج٢	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٢٤٠ - اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٢٤١ - قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٢٤٢ - سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٢٤٣ - العالم البرجوازي الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٢٤٤ - الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٢٤٥ - الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦ - سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٢٤٧ - الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٢٤٨ - المتصوفة الأولون فى الألب التركى جا	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٢٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والنون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٢٥٠ - بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٢٥١ - مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٥٢ - قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٢٥٣ - الفن الإسلامى فى الأندلس (منسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٥٤ - الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٥٥ - التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٥٦ - الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٢٥٧ - متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٢٥٨ - أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٥٩ - محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٢٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلي الشربيني
٢٦١ - التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وأمال شاور
٢٦٢ - تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٢٦٣ - حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبرى محمد حسن
٢٦٤ - حادثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٢٦٥ - سام باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٢٦٦ - نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

- ٣٦٧ - القلم الجريء - نخبة
٣٦٨ - المصطلح السردى - جيرالد برنس
٣٦٩ - المرأة فى أدب نجيب محفوظ - فوزية العشماوى
٣٧٠ - الفن والحياة فى مصر الفرعونية - كليلا لويت
٣٧١ - المتصرفة الاولون فى الأدب التركى ج٢ - محمد فؤاد كوبريلى
٣٧٢ - عاش الشباب - وانغ مينغ
٣٧٣ - كيف تعد رسالة دكتوراه - أمبرتو إيكو
٣٧٤ - اليوم السادس - أندريه شديد
٣٧٥ - الخلود - ميلان كونديرا
٣٧٦ - الغضب وأحلام السنين - نخبة
٣٧٧ - تاريخ الأدب فى إيران ج٤ - على أصغر حكمت
٣٧٨ - المسافر - محمد إقبال
٣٧٩ - ملك فى الحديقة - سنيل بات
٣٨٠ - حديث عن الخسارة - جونتر جراس
٣٨١ - أساسيات اللغة - ر.ل. تراسك
٣٨٢ - تاريخ طبرستان - بهاء الدين محمد إسفنديار
٣٨٣ - هدية الحجاز - محمد إقبال
٣٨٤ - القصص التى يحكيها الأطفال - سوزان إنجيل
٣٨٥ - مشترى العشق - محمد على بهزادارد
٣٨٦ - نفاغاً عن التاريخ الألبى النسوى - جانيت تود
٣٨٧ - أغنيات وسوناتات - چون دن
٣٨٨ - مواعظ سعدى الشيرازى - سعدى الشيرازى
٣٨٩ - من الأدب الباكستانى المعاصر - نخبة
٣٩٠ - الأرشيفات والمدن الكبرى - نخبة
٣٩١ - الحافلة الليلية - مايف بينشى
٣٩٢ - مقامات ورسائل أندلسية - فرناندو دى لاجرانخا
٣٩٣ - فى قلب الشرق - ندوة لويس ماسينيون
٣٩٤ - القوى الأربع الأساسية فى الكون - بول ديفيز
٣٩٥ - آلام سياوش - إسماعيل فصيح
٣٩٦ - السافاك - تقى نجارى راد
٣٩٧ - نيتشه - لورانس جين
٣٩٨ - سارتر - فيليب تودى
٣٩٩ - كامى - ديفيد ميروفتس
٤٠٠ - مومو - مشيانيل إنده
٤٠١ - الرياضيات - زيادون ساردر
٤٠٢ - هوكنج - ج.ب. ماك ايفوى
٤٠٣ - ربة المطر والملابس تصنع الناس - توبعد شتورم
٤٠٤ - تعويذة الحسى - ديفيد إبرام
٤٠٥ - إيزابيل - أندريه جيد
٤٠٦ - المستعربون الإسبان فى القرن ١٩ - مانويلا مانتاناريس
٤٠٧ - الأدب الإنسانى للعصر بقلام كتبه - أقلام مختلفة
٤٠٨ - معجم تاريخ مصر - جوان فوتشركنج
- ت : البراق عبد الهادى رضا
ت : عابد خزندار
ت : فوزية العشماوى
ت : قاطعة عبد الله محمود
ت : عبد الله أحمد إبراهيم
ت : وحيد السعيد عبد الحميد
ت : على إبراهيم على منوفى
ت : حمادة إبراهيم
ت : خالد أبو اليزيد
ت : إيوار الخراط
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : جمال عبد الرحمن
ت : شيرين عبد السلام
ت : رانيا إبراهيم يوسف
ت : أحمد محمد نادى
ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
ت : إيزابيل كمال
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : بهاء جاهين
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
ت : عثمان مصطفى عثمان
ت : منى الدروبي
ت : عبد اللطيف عبد الحليم
ت : زينب محمود الخضيرى
ت : هاشم أحمد محمد
ت : سليم حمدان
ت : محمود سلامة علاوى
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : باهر الجوهري
ت : ممنوح عبد المنعم
ت : ممنوح عبد المنعم
ت : عماد حسن بكر
ت : ظبية خميس
ت : حمادة إبراهيم
ت : جمال أحمد عبد الرحمن
ت : طلعت شاهين
ت : عنان الشهاوى

٤٠٩ - انتصار السعادة	برتراند راسل	ت : إلهامى عمارة
٤١٠ - خلاصة القرن	كارل بوير	ت : الزواوى بغورة
٤١١ - همس من الماضى	جينيفر أكرمان	ت : أحمد مستجير
٤١٢ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ٣)	ليفى بروفنسال	ت : نخبة
٤١٣ - أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت : محمد البخارى
٤١٤ - الجمهورية العالمية للأدب	باسكال كازانوفا	ت : أمل الصبان
٤١٥ - صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت : أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ - مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت : مصطفى بنوى
٤١٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٥	رينيه ووليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ - سياسات الزمر الحكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت : عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ - العصر الذهبى للإسكندرية	جون ماريو	ت : نسيم مجلى
٤٢٠ - مكرو ميجاس	فولتير	ت : الطيب بن رجب
٤٢١ - الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى	روى متحدة	ت : أشرف محمد كيلانى
٤٢٢ - رحلة لاستكشاف أفريقيا جا	نخبة	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٢٣ - إسراعات الرجل الطيف	نخبة	ت : وجيد النقاش
٤٢٤ - لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامى	ت : محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ - من طاووس حتى فرح	محمود طلوعى	ت : محمود سلامة علاوى
٤٢٦ - الخلفاء وقسم أخرى من أفغانستان	نخبة	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ - بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ت : ثريا شلبى
٤٢٨ - الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت : محمد أمان صافى
٤٢٩ - هيجل	ليود سبنسر وأندرجى كروز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٠ - كانط	كرستوفر وانت وأندرجى كليموفسكى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣١ - فوكو	كريس هيروكس وزوران جفتيك	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٢ - ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٣ - جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت : حمدى الجابرى
٤٣٤ - الرمانسية	لونيكان هيث وچون بورهام	ت : عصام حجازى
٤٣٥ - توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ت : ناجى رشوان
٤٣٦ - تاريخ الفلسفة (مج ١)	فريدريك كويلستون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٧ - رحالة هندي فى بلاد الشرق	شيلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨ - بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبيرس	ت : عايدة سيف الدولة
٤٣٩ - موت المرابى	صدر الدين عينى	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ - قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت : محمد الشرقاوى
٤٤١ - رب الأشياء الصغيرة	أروندهاتى روى	ت : فخرى لبيب
٤٤٢ - حثشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت : ماهر جويجاتى
٤٤٣ - اللغة العربية	كيس نرستينغ	ت : محمد الشرقاوى
٤٤٤ - أمريكا اللاتينية : الثقافات القبيمة	لاوريت سيجورنه	ت : صالح علمانى
٤٤٥ - حول وزن الشعر	پرويز نائل خانلرى	ت : محمد محمد يونس

٤٤٦ - التحالف الأسود	ألكسندر كوكيرن وجيفرى سانت كلير	ت : أحمد محمود
٤٤٧ - نظرية الكم	ج. پ. ماك ايفوى	ت : ممنوح عبد المنعم
٤٤٨ - علم نفس التطور	ديلان ايفانز - أوسكار زاريت	ت : ممنوح عبد المنعم
٤٤٩ - الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيري
٤٥٠ - ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا - ريبكارات	ت : جمال الجزيري
٤٥١ - الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / بون فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ - لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجنانزي / أوسكار زاريت	ت : محي الدين مزيد
٤٥٣ - القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ - خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ - تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كوبلستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ - لا تنسنى	مريم جعفرى	ت : هويدا عزت محمد
٤٥٧ - النساء في الفكر السياسي الغربي	سوزان مولر اوكين	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٨ - الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت : جمال عبد الرحمن
٤٥٩ - مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
٤٦٠ - الفاشية والنازية	ستوارت هود - ليتزا جانستز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦١ - لكان	داريان ليدر - جودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦٢ - طه حسين من الأزم إلى السوربون	عبد الرشيد الصانق محمودى	ت : عبد الرشيد الصانق محمودى
٤٦٣ - الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت : كمال السيد
٤٦٤ - ديمقراطية القلة	ميكايل بارنتى	ت : حصة منيف
٤٦٥ - قصص اليهود	لويس جنزيرج	ت : جمال الرفاعى
٤٦٦ - حكايات حب ويطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت : فاطمة محمود
٤٦٧ - التفكير السياسى	ستيفين ديلى	ت : ربيع وهبة
٤٦٨ - روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٤٦٩ - جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت : مجدى عبد الرازق
٤٧٠ - الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت : محمد السيد التنة
٤٧١ - رحلة لاستكشاف أفريقيا ج ٢	نخبة	ت : عبد الله الرازق إبراهيم
٤٧٢ - نون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٣ - نون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٤ - الأدب والنسوية	بام موريس	ت : سهام عبد السلام
٤٧٥ - صوت مصر : أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت : عادل هلال عنانى
٤٧٦ - لرض الحبيب بعيدة : بيرم التونسي	ماريلين بوث	ت : سحر توفيق
٤٧٧ - تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت : أشرف كيلانى
٤٧٨ - الصين والولايات المتحدة	ليو شيه تشنج ولى شى لونج	ت : عبد العزيز حمدى
٤٧٩ - المقهى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨٠ - تساي ون جى (مسرحية صينية)	كو موروا	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨١ - عبادة النبى	روى متحدة	ت : رضوان السيد
٤٨٢ - موسومة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت : فاطمة محمود
٤٨٣ - النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	ت : أحمد الشامى

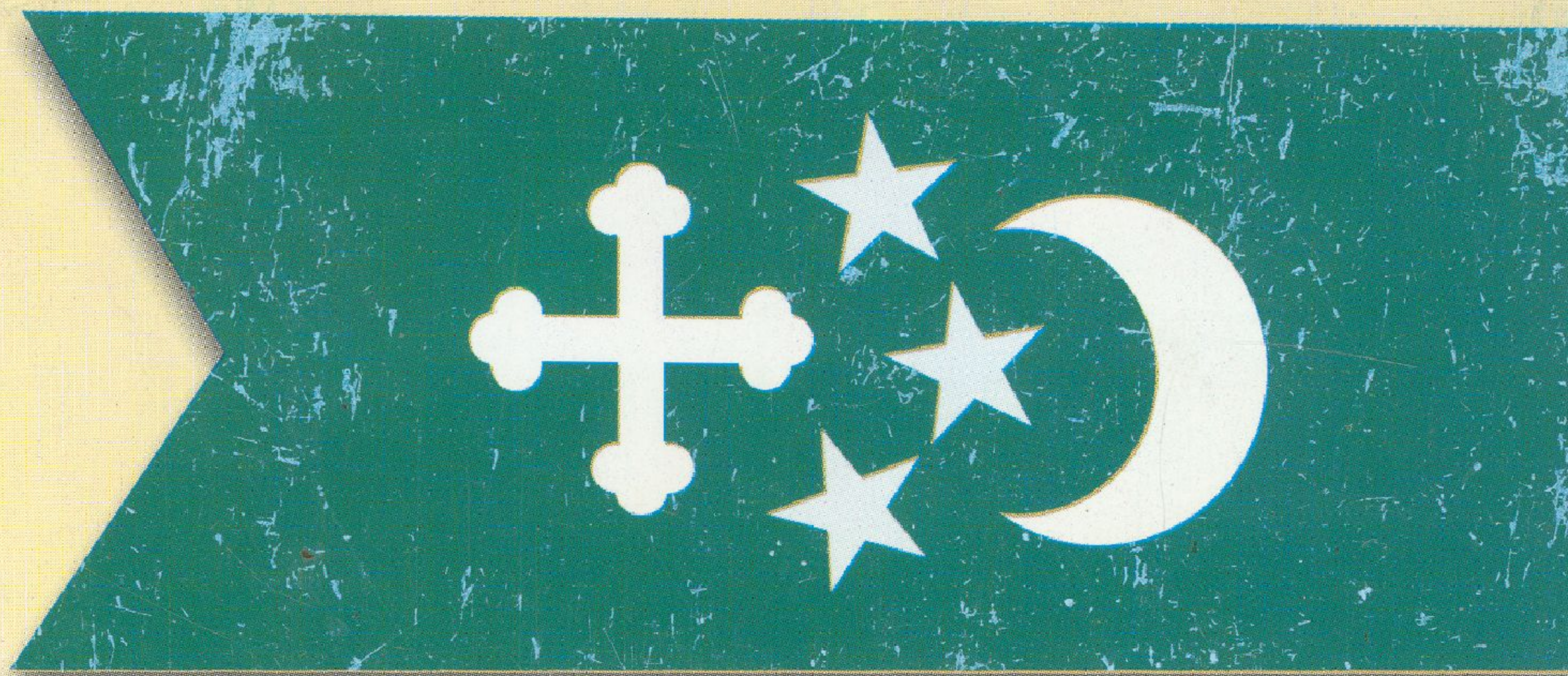
٤٨٤ - جمالية التلقى	هانسن روبرت ياوس	ت : رشيد بنحو
٤٨٥ - التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوي	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٦ - الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت : عبد الحليم عبد القنى رجب
٤٨٧ - الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٨ - الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٩ - مُسْرُل : الفلسفة علماً دقيقاً	مُسْرُل	ت : محمود رجب
٤٩٠ - أسفار البيضاء	محمد قدرى	ت : عبد الوهاب علوب
٤٩١ - نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت : سمير عبد ربه
٤٩٢ - محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	ت : محمد رفعت عواد
٤٩٣ - خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت : محمد صالح الضالع
٤٩٤ - كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت : شريف الصيفى
٤٩٥ - اللوى	إيوارد تيفان	ت : حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦ - الحكم والسياسة فى أفريقيا	إكوادو بانولى	ت : مجموعة من المترجمين
٤٩٧ - العثمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	ت : مصطفى رياض
٤٩٨ - النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريولز	ت : أحمد على بدوى
٤٩٩ - تقاطعات : الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت : فيصل بن خضراء
٥٠٠ - لى طوقسى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تينز روكى	ت : طلعت الشايب
٥٠١ - تاريخ النساء فى الغرب	أرثر جولد هامر	ت : سحر فراج
٥٠٢ - أصوات بديلة	هدى الصدة	ت : هالة كمال
٥٠٣ - مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	ت : محمد نور الدين عبد المنعم
٥٠٤ - كتابات أساسية ج١	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٥ - كتابات أساسية ج٢	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٦ - ربما كان قديساً	آن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥٠٧ - سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	ت : شوقى فهمى
٥٠٨ - المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبد الباقي جلبنارلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٥٠٩ - الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	أدم صيرة	ت : قاسم عبده قاسم
٥١٠ - الأرملة الماكرة	كارلو جولونى	ت : عبد الرازق عيد
٥١١ - كوكب مرقع	آن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥١٢ - كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	ت : جمال عبد الناصر
٥١٣ - العلم الجسور	تيد أنتون	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤ - مدخل إلى النظرية الأدبية	چوتتان كولر	ت : مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥ - من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى بوجلاس	ت : فدوى مالطى بوجلاس
٥١٦ - إرادة الإنسان فى شفاء الإيمان	أرنولد واشنطن - ويونا باوندى	ت : صبرى محمد حسن
٥١٧ - نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨ - استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	ت : هاشم أحمد محمد
٥١٩ - محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٥٢٠ - الولع الفرنسى بمصر من الطم إلى الشروع	أحمد يوسف	ت : أمل الصبان

٥٢١ - قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	ت : عبد الوهاب بكر
٥٢٢ - إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	ت : علي إبراهيم منوفى
٥٢٣ - الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	ت : علي إبراهيم منوفى
٥٢٤ - الملك لير	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٥٢٥ - موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	ت : نادية رفعت
٥٢٦ - علم السياسة البيئية	ستيفن كروول ووليم رانكين	ت : محبى الدين مزيد
٥٢٧ - كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	ت : جمال الجزيرى
٥٢٨ - تروتسكى والماركسية	طارق على وفل إيفانز	ت : جمال الجزيرى
٥٢٩ - بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	ت : حازم محفوظ وصين نجيب المصرى
٥٣٠ - مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	ت : عمر الفاروق عمر
٥٣١ - ما الذى حثَّ فى «حثّ» ١١ سبتمبر؟	چاك بريدأ	ت : صفاء فتحى
٥٣٢ - المغامر والمستشرق	هنرى لورنس	ت : بشير السباعى
٥٣٣ - تعلّم اللغة الثانية	سوزان جاس	ت : محمد الشرقاوى
٥٣٤ - الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لوبا	ت : حمادة إبراهيم
٥٣٥ - مخزن الأسرار	نظامى الكنجوى	ت : عبد العزيز بقوش
٥٣٦ - الثقافات وقيم التقدم	صمويل منتنجتون	ت : شوقى جلال
٥٣٧ - للحب والحرية	نخبة	ت : عبد الغفار مكارى
٥٣٨ - النفس والأخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانييلز	ت : محمد الحيدى
٥٣٩ - خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	ت : محسن مصيلحى
٥٤٠ - توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	ت : رؤوف عباس
٥٤١ - هى تتخيل وهلاس أخرى	خوان خوسيه مياس	ت : مروة رزق
٥٤٢ - قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	ت : نعيم عطية
٥٤٣ - السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	ت : وفاء عبد القادر
٥٤٤ - ميلانى كلاين	نخبة	ت : حمدى الجابرى
٥٤٥ - ياله من سباق محموم	فرانسيس كريك	ت : عزت عامر
٥٤٦ - ريموس	ت.ب. وايزمان	ت : توفيق على منصور
٥٤٧ - بارت	فيليب ثودى وأن كورس	ت : جمال الجزيرى
٥٤٨ - علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن ويون فان لون	ت : حمدى الجابرى
٥٤٩ - علم العلامات	بول كويلى وليناجانز	ت : جمال الجزيرى
٥٥٠ - شكسبير	نيك جروم وييرو	ت : حمدى الجابرى
٥٥١ - الموسيقى والعولة	سايمون ماندى	ت : سمحه الخولى
٥٥٢ - قصص مثالية	ميجيل دى ثريانتس	ت : علي عبد الرعوف البعبى
٥٥٣ - مدخل لشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	ت : رجاء ياقوت
٥٥٤ - مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	ت : عبد السميع عمر زين الدين
٥٥٥ - إستراتيجية الأمريكية لقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	ت : أنور محمد إبراهيم ومحمد نصر الدين الجبالى
٥٥٦ - چان بويريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	ت : حمدى الجابرى
٥٥٧ - الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٥٥٨ - الدراسات الثقافية	زيووين ساردار وبورين فان لون	ت : وفاء عبد القادر

٥٥٩ - الماس الزائف	تشا تشاجي	ت : عبد الحى أحمد سالم
٥٦٠ - صلصلة الجرس	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٥٦١ - جناح جبريل	محمد إقبال	ت : جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢ - بلايين وبلايين	كارل ساجان	ت : عزت عامر
٥٦٣ - ورود الخريف	خايننتو بينابينتى	ت : صبرى محمدى التهامى
٥٦٤ - عَش الغريب	خايننتو بينابينتى	ت : صبرى محمدى التهامى
٥٦٥ - الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا . ج. جيرنر	ت : أحمد عبد الحميد أحمد
٥٦٦ - تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	ت : على السيد على
٥٦٧ - الوطن المفتصب	مايكل رايس	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨ - الأصول فى الرواية	عبد السلام حيدر	ت : عبد السلام حيدر
٥٦٨ - موقع الثقافة	هوى . ك . بابا	ت : ثائر ديب
٥٧٠ - دول الخليج الفارسى	سير روبرت هاى	ت : يوسف الشارونى
٥٧١ - تاريخ النقد الإشباني المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	ت : السيد عبد الظاهر
٥٧٢ - الطب فى زمن الفراغة	برونو أليوا	ت : كمال السيد
٥٧٣ - فرويد	ريتشارد ابينانسن وأسكار زارتى	ت : جمال الجزيرى
٥٧٤ - مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	ت : علاء الدين عبد العزيز السباعى
٥٧٥ - الاقتصاد السياسى للعولة	نجير وودز	ت : أحمد محمود
٥٧٦ - فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ت : ناهد العشرى محمد
٥٧٧ - مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	ت : محمد قدرى عمارة
٥٧٨ - الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	ت : محمد إبراهيم وعصام عبد الرعوف
٥٧٩ - تشومسكى	جون ماهر وچودى جرونز	ت : محى الدين مزيد
٥٨٠ - دائرة المعارف الدولية	جون فيزر وبول سيترجز	ت : محمد فتحى عبد الهادى
٥٨١ - الحمقى يموتون	ماريو بونزو	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢ - مرايا الذات	هوشتك كلشيرى	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣ - الجيران	أحمد محمود	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤ - سفر	محمود نوات آبادى	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥ - الأمير احتجاب	هوشتك كلشيرى	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦ - السينما العربية والأفريقية	ليزيث مالكموس وروى أرمز	ت : سهام عبد السلام
٥٨٧ - تاريخ تطور الفكر الصينى	نخبة	ت : عبد العزيز حمدى
٥٨٨ - أمنحوتب الثالث	أنيس كابرول	ت : ماهر جويجاتى
٥٨٩ - تمبكت العجيبة	فيلكس ديواه	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٥٩٠ - أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	ت : محمود مهدى عبد الله
٥٩١ - الشاعر والمفكر	هوراتيوس	ت : على عبد التواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢ - الثورة المصرية	محمد صبرى السورىونى	ت : مجدى عبد الحافظ على كورخان

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٠٥٧ / ٢٠٠٣



هذا الكتاب هو ترجمة الجزء الأول من كتاب الثورة المصرية لصبرى السوربونى الذى كتبه بالفرنسية وما زالت أحداث ثورة (١٩١٩) مشتعلة ولم يخمد أوارها بعد .

كان صبرى شغوفاً بما يحدث فى مصر، وقد درس الثورة الفرنسية على يد أستاذه العلامة أولار Aulard ، وحاول أن يربط بين ما يستقيه من أخبار عن مصر وما احتفظ به من دروس الثورة الفرنسية، كما وجد الولع لدى الفرنسيين بمصر، بحيث أصبح هذا الولع Egyptomania موضة هذا الزمان .

وتكمن أهمية الكتاب، إضافة إلى الصور الفوتوغرافية ، فى هذا الحشد الهائل من المعلومات واليوميات الخاصة بأحداث ثورة (١٩١٩)، وهذا الحس الوطنى العالى الذى صيغ به الكتاب، إضافة إلى إبرازه - لأول مرة فى الغرب - أن الشعب المصرى بطوائفه العرقية والدينية والمهنية قد اختار الاستقلال سبيلاً ليعيش أمة ناهضة مثل كل الأمم الحية فى العالم ، وأنه يملك كل المقومات التى تؤهله للوصول إلى هذا الهدف النبيل .

الفلاف : هشام نوار

Bibliotheca Alexandrina



0553142